

جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

محاضرات مقياس "النهضة الأوروبية"

أ.ة. بعارسية صباح

النهضة الأوروبية

محتوى المقياس (الوزارة):

- 1- الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة.
- 2- تعريف النهضة وعوامل قيامها.
- 3- النهضة الأدبية الفنية - الفكرية والعلمية - الاقتصادية.
- 4- خصائصها ونتائجها.
- 5- الحركة الإنسانية والإصلاح الديني.

المراجع:

- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار: التاريخ الأوروبي الحديث.
- نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الأوروبية.
- محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.
- جلال يحيى: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر.

Brotton Jerry ,The Renaissance: A Very Short Introduction
Burke. P ,The European Renaissance: Centre and Peripheries
Stephens John ,The Italian Renaissance: The Origins of Intellectual and Artistic change before the Renaissance

قواعد البيانات على شبكة الإنترنت :

- <http://www.erudit.org>
- <http://gallica.bnf.fr>
- <http://classiques.uqac.ca>
- <http://horizon.documentation.ird.fr/exlphp/>
- <http://socio-anthropologie.revues.org>
- http://www.centre-charles-moraze.msh-paris.fr/article.php3?id_article=9
- <http://www.awu-dam.org/book/indx-study.htm>
- <http://www.espritcritique.fr/accueil/index.asp>
- <http://www.civilisations.ca/resourcef.asp>
- <http://www.gutenberg.org/browse/languages/fr>
- <http://www.textesrares.com/indnoms.html>
- http://www.pheno.ulg.ac.be/Lexique_philosophique_Fr_All.htm
- <http://www.ai.univ-paris8.fr/corpus/lurcat/dara>
- http://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/article_christianisme.asp
- http://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/article_islam.asp
- <http://muttaqun.com/dictionary.html>
- <http://theses.univ-lyon2.fr>
- http://presses.univ-lyon2.fr/rubrique.php3?id_rubrique=2
- <http://www.doaj.org/doaj?func=subject&cpid=87>

1. الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة

دخلت أوروبا حوالي سنة 1045م فترة تحوّل كبرى حيث توقفت هجرة الجرمان والآسيويين، واستقر سكان أوروبا، وتوسعت التجارة بشكل كبير في إيطاليا وجنوب فرنسا وهولندا. والنهضة التي بزغت منذ القرن 14م كانت فترة إنجازات للفنانين والمعماريين الأوروبيين، كما كانت عصر الاكتشافات الكبرى التي بدأت في القرن 15م باكتشافات بحرية للأراضي والبحار المجهولة. وأخذت البرتغال وإسبانيا ثم بريطانيا وفرنسا تبني إمبراطورياتها الاستعمارية في أفريقيا وآسيا والأمريكيتين.

الأوضاع الفكرية في أوروبا قبل النهضة:

لم يكن الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة مفاجئاً أو واضحاً أو محدداً بعدد من السنين، وإنما تم بشكل تدريجي، ويعتبر عصر النهضة مرحلة انتقال بين العصور الوسطى والعصور الحديثة. وقد اتفق معظم المؤرخين على أن عصر النهضة في أوروبا، بدأ في نهاية القرن 14م، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والرومانية والعربية، مترافقة بحركة نشطة للاستكشافات الجغرافية، وتبع ذلك أيضاً الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية.

ويمكن أن نعرف النهضة على أنها حركة لإحياء التراث القديم، أو بمعنى آخر هي عبارة عن ذلك التطور في كل من الفنون والآداب والعلوم، وطرق التعبير والدراسات في شتى الميادين، وما صاحب ذلك من تغيير في أسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية.

وأوروبا العصور الوسطى كانت تتجه إلى الزهد في الدنيا والتبذل للآخرة، وذلك نتيجة هيمنة رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة، باعتبارهم علماء في الدين وفلاسفة في القانون الروماني، فحاربوا المفكرين وحاكموهم بقسوة واحتكروا زعامة المجتمع، فتفشيت فيه الخرافات وعم الجهل. لهذا لم ينتفع الجمهور باللغة اللاتينية، لأنها كانت محتكرة لدى طائفة من رجال الكنيسة ولم تكن صناعة الورق أو فن الطباعة معروفين في أوروبا بعد، ولهذا كان المجتمع الأوروبي متخلفاً ويئن تحت وطأة الإقطاع، ويعاني من ويلات الحروب الإقطاعية والتجزئة السياسية.

فلسفة العصور الوسطى:

هذا ما ساهم في سيادة فلسفة العصور الوسطى القائمة على إنكار قيمة الإنسان كعقل وروح وجسد، له حقوقه الإنسانية مثلما عليه من واجبات. وليحافظ النظام الإقطاعي على نفسه كان لابد من إلغاء حق الإنسان في التطلع إلى الأفضل، فساعدته الكنيسة بتأطير مفهوم إنكار النفس والذات بإطار لاهوتي يؤكد أن حياة الآخرة هي الهدف ولا قيمة للحياة الدنيا، وأن على الإنسان أن لا يعترض عما كُتب له مهما بلغ

من سوء، مناقضة بذلك المبادئ الدينية التي تؤكد على أهمية الإنسان ودوره في الحياة الدنيا والآخرة. ومنه يتضح أنه لم يكن هناك مجال للفرد كي يبدع أو يبتكر، بل كانت التقاليد والأعراف السائدة تحطم كل رغبة تهدف إلى تحكيم العقل وإتباع المناقشة سبيلا للوصول إلى الحقيقة. وهكذا لم يكن من الممكن أن تبقى الكنيسة حاكمة بأمرها في تفكير الناس، أو أن يظل حَجَرها على العقول والأفكار وتقرير قِيم ما يصح وما لا يصح من المعارف الإنسانية ساري المفعول، وكرد صريح وواضح جاءت النهضة بفلسفة تناقض تماما فلسفة العصور الوسطى، بل تتحداها في التأكيد على الإنسان ودوره في الحياة.

بداية النهضة من إيطاليا:

سبقت إيطاليا غيرها من دول أوروبا في النهضة التي بدأت إرهاباتها قبل منتصف القرن 14م، في حين لم تظهر في الدول الأخرى إلا في القرون الموالية. ويعود سبب ظهور أولى بوادر الانبعاث الحضاري في إيطاليا قبل غيرها من دول أوروبا إلى أن إيطاليا كانت مركز الإمبراطورية الرومانية ونواتها، وعليه فإن سقوط هذه الإمبراطورية لم يؤد إلى تحوّل إيطاليا نحو الإقطاع بشكل تام، كما حدث في فرنسا وألمانيا مثلا. لقد حافظت مدن إيطالية عديدة على مظاهر الحياة المدنية ونشطت فيها التجارة والطبقة الوسطى. وفي الوقت الذي أطبق نظام الإقطاع بزمامه على غربي أوروبا بقيت المؤسسات السياسية والاجتماعية لهذه المدن، والموروثة من أيام إمبراطوريتهم الرومانية، حية فاعلة مثل البندقية وجنوة ونابولي وبيزا وفلورنسا التي شكلت إمارات مستقلة. ولا شك أن قرب هذه المدن من الإمبراطورية البيزنطية ووقوعها على خطوط التجارة الدولية أبقى لها بعض صناعاتها ونشاطها التجاري الملحوظ، مما زاد في قدرتها على مقاومة التحوّل نحو الإقطاع. ويمكن إجمال الأسباب فيما يلي:

1/ الهدوء والسلام النسبي الذي تمتعت به إيطاليا، خاصة في القرن 15م، ما مكنها من التفرغ للاطلاع والبحث.

2/ عرفت بعض المدن الإيطالية تقدما اقتصاديا ملموسا منذ مطلع القرن 11م (جنوة، البندقية، بيزا، فلورنسا...).

3/ خفة وطأة نظام الإقطاع في إيطاليا منه في باقي البلاد الأوروبية الغربية، وقلة الحواجز بين الطبقات الاجتماعية.

4/ حوت إيطاليا على الكنوز الدفينة للإمبراطورية الرومانية من الآداب والعلوم والنقوش وفن التصوير والنحت والآثار، ما جعل الطليان على اتصال وثيق دائم بآداب الرومان وفنونهم وقوانينهم وعلومهم، وأرادوا أن يكونوا ورثة لأجدادهم الرومان في إحياء مجدهم، وبما أن اللغة الإيطالية قريبة من اللغة اللاتينية فإن ذلك سهل عليهم الإفادة من مخلفات الرومان أجدادهم.

5/ أكسب وجود مركز البابوية في روما شعور الطليان بالسيطرة الدينية على باقي أوروبا، كما أن ذلك أكسبهم ربحاً مالياً عن طريق اشتغالهم بالوظائف الدينية، علماً أن ميزانية البابوية مليئة بالأموال المتدفقة من خارج إيطاليا.

6/ التنافس بين المدن الإيطالية في المجال الأدبي والفني، مع وجود عدد كبير من رعاة الفنون والآداب. وكان وجود الآثار الأدبية والفنية القديمة في إيطاليا من العوامل التي شجعت واجتذبت الباحثين منذ أيام أبو الحركة الإنسانية الموسوعي والشاعر الفلورنسي بترارك (Petrarque 1374م).

7/ ظلت النصوص الإغريقية واللاتينية في يد المثقفين الطليان، ما طوّر روح البحث والتتقيب عن المخطوطات والمؤلفات القديمة النادرة. وأصبحت إيطاليا مستودعاً كاملاً لهذه المخطوطات.

8/ وجود أكبر المطابع في المدن الإيطالية، فقد كان لأصحاب المطابع مجموعة كبيرة من النصوص القديمة، نشروا عدد كبير منها.

9/ موقع إيطاليا ساعد الطليان على أن يكونوا على اتصال وثيق بالشرق، عن طريق التبادل التجاري الذي كان قائماً بين المدن الإيطالية التجارية وبلاد الشرق الإسلامي، إضافة للاتصال الذي تم عن طريق الحروب الصليبية، واتصال الشعب الإيطالي بالحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية والشرق الإسلامي.

المرجع:

كلية تطوان مسلك التاريخ والحضارة،

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=1015556388507530&id=476871369042704.

عبد الفتاح حسن أبو عليّة: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص 40 وما يليها.

2. تعريف النهضة وعوامل قيامها

تعريف النهضة:

يطلق مصطلح النهضة على مجموعة من الأفكار والمنجزات العلمية والأدبية والفنية التي حدثت في فترة انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة.

لغة كلمة النهضة "La Rinascimento" باللغة الإيطالية، و "Renaissance" باللغة الفرنسية تعني الميلاد الجديد أو البعث، فقد بدأ للأوروبيين هذا النضوج على أنه بعثاً للروح القديمة، بعد أن وقفت البربرية الجرمانية في طريقها حوالي ألف عام، حيث قضت غارات الجرمان على الإمبراطورية الرومانية في الغرب. فالقوط قضوا على زهرة الفن الروماني وأحلوا محله العمارة القوطية ذات النحت الخشن الكئيب، والذي مثل الأنبياء صارمين والقديسين هزيلي الأجسام.

وإصطلاحاً هي حركة إحياء العلوم القديمة والإضافة إليها، وإذا كان المعيار الاقتصادي فهي بمثابة نمو اقتصادي ومالي وتجاري، وإذا كان المعيار سياسي فالنهضة هي إقامة دول قومية حلت محل الملكيات الإقطاعية. وقد انبثقت في إيطاليا في القرن 14م، وانتقلت منها إلى أنحاء أوروبا في القرون التالية. انظر

<https://uqu.edu.sa/agmohamad/12859>

ويمكن أن نعرف النهضة أنها حركة لإحياء التراث القديم، أو بمعنى آخر هي عبارة عن ذلك التطور في كل من الفنون والآداب والعلوم وطرق التعبير والدراسات، وما صاحب ذلك من تغير في أسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية.

أما تاريخياً فهي الفترة الانتقالية التي عاشتها أوروبا ما بين القرون 14م وحتى 17م، وهي عبارة عن حركة ثقافية انفجرت شرارتها في إيطاليا في نهايات العصور الوسطى، ثم بدأت بالتوسع شيئاً فشيئاً إلى سائر أنحاء القارة الأوروبية. وحفز وجود الورق والاختراعات الانتشار السريع لهذه النهضة في أواخر القرن 15م. كما يعد عصر النهضة بمثابة نقطة تحول إلى الازدهار في المجالات الأدبية اللاتينية والمحلية منذ مطلع القرن 14م، باعتبارها حركة ثقافية. كما شهدت المنطقة نهضة في مجالات التعلم القائم على المصادر الكلاسيكية. ويُعزى الفضل في قيام هذه الثورة إلى بيتراque (1374م). وقد رافقت هذه النهضة تطورات في مجالات الرسم المنظور والتقنيات ما جعل الرسم أكثر واقعية، كما شهد التعليم إصلاحاً واسعاً. أما في المجالات السياسية فقد تعددت مظاهر الدبلوماسية المتمثلة في المعاهدات بين الدول، أما فيما يتعلق بالمجالات العلمية فقد أصبحت الدول تعتمد على الملاحظة.

كما يمكن تعريف النهضة الأوروبية بأنها تلك التطورات التي تزامن ظهورها مع سقوط القسطنطينية عام 1453م، إذ نزح العلماء إلى موطن النهضة إيطاليا ناقلين معهم التراث اليوناني والروماني. كما يمكن وصفها بأنها سلسلة من التيارات الثقافية والفكرية التي انطلقت من إيطاليا في مطلع القرن 14م، وبدأت رقعتها بالتوسع لتشمل كلا من فرنسا وإسبانيا وألمانيا وهولندا وإنكلترا وباقي أنحاء أوروبا.

عوامل قيام النهضة:

(1) انتعاش التجارة وازدهار المدن التجارية الأوروبية: ارتكز نظام الإقطاع خلال العصور الوسطى على القرية والضيعة اللتان شكلتا الوحدة السكنية الاقتصادية والاجتماعية، لذلك كان ظهور المدن بمميزاتها وقوتها الاقتصادية وإشعاعها الثقافي والحضاري مقوضا للنظام الإقطاعي والكنسي ماديا وفكريا وفلسفيا، وكانت المدن الإيطالية أبرز وأسبق المدن التي انطلقت منها الحركة الإنسانية. كما أن انتعاش التجارة بين الغرب والشرق، وخاصة عبر البحر المتوسط، جعل المدن الأوروبية المطلة عليه تشهد رخاءً اقتصاديا ساعد على ظهور طبقة غنية استأثرت بالسلطة وتحررت من الإقطاعية، فنافستها واستقلت عنها مُعززة هذا الاستقلال بتبادل السفراء والقناصل مع الدول التي ترتبط معها بعلاقات تجارية، وكذلك بإحاطة نفسها بمظاهر البذخ والترف، مما جعلها تشجع حركة النهضة وتتنافس فيما بينها على رعاية فنانها وأدبائها وعلمائها. وبذلك أنشأ التجار الأوروبيون عددا من المدن التجارية بالرغم من طغيان الجانب الأدبي والعلمي على ذلك، ومن أبرز تلك المدن فلورنسا، ميلان، البندقية ...

(2) نمو البرجوازية والرأسمالية: مكن موقع المدن الإيطالية الإستراتيجي التجار الطليان من أداء دور الوسيط بين شرق العالم وغربه، وتأسيس شركات حققت أموالا طائلة، وتزامن ذلك مع تطور النظام المصرفي (تأسس أول مصرف فلورنسي سنة 1397م، وكان ملكا لأسرة مديتشي) ، وظهور النظام الرأسمالي.

(3) الأنظمة السياسية المطلقة: افتك الملوك جميع السلطات السياسية من أيدي النبلاء ورجال الكنيسة وزاولوا السلطة المطلقة بأنفسهم، وتجنبوا لثورات الطبقتين تحالفوا مع البرجوازية بتشجيعها والاستفادة من ثرائها، في حين كانت هي في حاجة للأمن والاستقرار، ما ضمنه الملوك.

(4) ضعف الكنيسة الغربية وانقسامها: شكلت المفاصد الأخلاقية والسياسية والتبذير المالي مع الانقسام البابوي الذي حدث عندما اتخذ الباب كليمنت 5 (1314م) مدينة أفينيون الفرنسية مقرا للبابوية بين سنوات 1305م-1377م، شكلت عوامل أضرت بسمعة الكنيسة، وكان ذلك إرھاصا لبداية التغيير في الحياة الفكرية والدينية والسياسية في أوروبا.

(5) أثر الحضارة الإسلامية: استفادت أوروبا حضاريا رغم انهزامها عسكريا في الحروب الصليبية، وذلك باحتكاكها بحضارة المسلمين الراقية التي غيرت نظرتها لكثير من المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتسربت الحضارة الإسلامية لأوروبا عبر الأندلس وصقلية والمغرب الإسلامي ومصر وبلاد المشرق وبيزنطة. كما أن طلاب العلم نهلوا من الجامعات الإسلامية منذ نهاية القرن 11م. ومما يوضح

مدى أثر الفكر الإسلامي على أوروبا هو اعتراف الفلاسفة الأوروبيين أنفسهم بذلك، يقول سلفادور نوجالس (راهب يسوعي إسباني معاصر، أستاذ الفلسفة الإسلامية): "أنا مقتنع كل الاقتناع بأن هناك تأثيرا مباشرا للفلسفة الإسلامية في أوروبا في القرون الوسطى، بل أقول أكثر من ذلك، إنه لولا هذا التأثير الذي كان للفلسفة الإسلامية على الفلسفة المسيحية ربما ما كانت الفلسفة المسيحية تقدر على اجتياز تلك الخطوة العملاقة، التي نقدرها عند عباقرة الفلسفة المدرسية". أنظر محمود حمدي زقزوق: دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي، ص 16 .

(6) المخترعات الحديثة: وأهمها صناعة الورق والطباعة ، ولا يخفى أثرهما في نشر العلوم والثقافة بين الناس، وخاصة بعدما طوّر الأوروبيون صناعتهما إثر اختراع العالم الألماني يوحنا غوتنبرغ (1468م) (Gutenberg) سنة 1450م للطباعة بالحروف المتحركة. كما استفاد الأوروبيون من البارود، خاصة في حروبهم التي خاضوها ضد قلاع الإقطاعيين الذين كانوا يُكثرون التجزئة ويقفون عائقا أمام ظهور الدولة القومية. كما كان لاستفادة الأوروبيين من البوصلة والإسطرلاب دور فعال في حركة الكشوف الجغرافية، وما إلى ذلك من الاختراعات الأخرى التي استعانت بها أوروبا لتغيير أوضاعها القديمة وبعث أوروبا حديثة.

(7) استعمال اللغة الوطنية: كانت لغة رجال الدين الأم اللاتينية، فقد كانت بمثابة اللغة الرسمية للعلم والثقافة، لكن تنبه الأوروبيون إلى ضرورة استعمال اللغة الوطنية التي يتكلمها معظم الناس. وقد كان لتشجيع بعض الحكومات الأوروبية للغات القومية وإقبال بعض الكُتاب على التأليف بها أثر كبير في نشر الثقافة بين طبقات المجتمع. وهي اللغات الأم للغات شعوب أوروبا الحالية مثل اللغات الفرنسية والإنجليزية وغيرها.

(8) سقوط القسطنطينية: أقدمت كوكبة من علماء القسطنطينية على اتخاذ خطوة الهجرة إلى إيطاليا بعد سقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية تحت الحكم العثماني، حاملين معهم رصيда تراثيا ضخما من الحضارات الإغريقية والرومانية والإسلامية إلى جانب الثروة المالية. وبذلك نقلوا الكتب الإغريقية وما خلفه الإغريق من تماثيل وأدوات قديمة. وهناك تعاونوا على بعث الثقافة اللاتينية وتطويرها في قالب جديد كان نواة للنهضة الأوروبية.

المراجع:

- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار: التاريخ الأوروبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت.
- نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، بيروت.

- محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت.
 - جلال يحيى: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- <http://www.study4uae.com/vb/showthread.php?t=30378> التاريخ 2018/02/10.



خريطة سياسية لشبه جزيرة إيطاليا حوالي 1494.

3. مظاهر النهضة الأوروبية

النهضة الأدبية:

ارتكزت الآداب على تقليد القدامى في كتابة القصائد والاهتمام بجمال الأسلوب وانتقاء الألفاظ، وركزت آداب النهضة على الجانب العاطفي بدل التعليم والوعظ. وقد طال تطور الأدب بكل أشكاله ومعانيه حيث تم تطوير مفاهيم الأدب والفلسفة، وجمع المخطوطات اليونانية، كيف ذلك؟

1/ بعث التراث الوثني الإغريقي: هذه الخطوة الأولى نحو الانفلات من سلطة الكنيسة، والانقضاض على فكر وتقاليد القرون الوسطى. وعن طريق إحياء الآداب الإغريقية استطاع أدباء وفنانو النهضة النفاذ إلى عالم آخر خارج من مألوف عصرهم ولا أثر فيه لشيء من اللاهوتيات، لقد نفذوا أول الأمر من كوة صغيرة، لكنها ظلت تتسع حتى انتقض بناء الكنيسة والتقاليد من أساسه، وطلعوا على الفكر الأوروبي بمفاهيم جديدة ومعايير مغايرة سبقوا بها النهضة الفكرية العقلانية، وذلك ما يعده الفكر الحديث أعظم مآثر النهضة.

2/ العودة إلى الإباحية الرومانية: كان عصر النهضة يتسم بطابع كلاسيكي خاص، يقدر الجسد ويعبد اللذة في وقت لا تزال الرهبانية فيه هي المثل الأعلى. ووجه زعماء ذلك العصر أنظار الناس إلى مثالب الرهبانية بحجة منافاتها للإنسانية، وهو الوصف الذي كانوا يتسترون وراءه. يقول مؤلف "تكوين العقل الحديث" الفيلسوف الأمريكي جون راندل Randall (1980م): "الحقيقة أن هذا الاهتمام بالإنسانية عاش بصورة قوية واضحة منذ العصور التي سبقت غزوة المسيحية للبرابرة، فالحياة التي صورها الشاعر الملحمي الإغريقي هوميروس Homère (القرن 8 ق.م) في الملاحم الوثنية تعكس لنا الوجود الإنساني، وجل ما استطاع التقليد المسيحي هو أن يشوه سمعتها. وقد انتشر خلال القسم المتأخر من القرون الوسطى تيار من الأغاني المبتذلة تُمدح التمتع الصريح بالحياة وملذاتها، وكانت هذه الأغاني كثيرة التحرر مفرطة في وصف النواحي الحيوانية".

3/ ملحمة الكوميديا الإلهية: كانت حدثا جديدا في الأدب، حدثا ضخما لم يسبق له مثيل، فليس إذن من العجب أن يدعوها الناس بلقب الإلهية، لأنهم شعروا عند ظهورها أن أدبا أوروبيا جديدا قد انبثق فجره. إن الناس كانوا يعتقدون ما علمتهم الكنيسة إياه من أن كل إنسان يكفر بالمسيحية جزاؤه جهنم، وأما من يؤمن بها فمآله إلى الجنة، وجاء دانتي Dante (1321م) فخرج على تلك العقيدة القديمة، وأقام موازين جديدة للعقاب والثواب على أساس من الأخلاق، فكان شاعرا يوزع بالقسطاس العقاب والثواب بدلا من أن يوزعها البابا، وهو أمر عظيم في ذلك الوقت. وقد أدخل دانتي في ملحمة البابوات كلهم قاع جهنم إلا بابا واحدا أدخله الجنة، ودلالة ذلك لا تخفى على أحد.

4/ شكسبير: كان شكسبير Shakespeare (1616م) خير من قام بدراسة الإنسان، والحق أنه يمثل أرقى ما بلغت إليه حركة النهضة الأوروبية بأكملها، وهي في لبابها تتلخص في اكتشاف الجنس البشري لقيمته، وأهميته التي كانت قد ضاعت على مر العصور.

5/ اللغات الوطنية: كما ظهرت الكتابة باللغات الوطنية حيث برز في فرنسا عدد من الشعراء والمفكرين كتبوا باللغة المتداولة، ووضعوا أسس وقواعد الكتابة باللغة الفرنسية، فكتب الشاعر دوبيلاي Du Bellay (1560م) دفاعا عن اللغة الفرنسية بين فيه قدرتها على التعبير عن خلجات الفكر والشعور. وفي إيطاليا كتب مكيافيلي Machiavel (1527م) كتابه "الأمير" باللغة الإيطالية بين فيه ضرورة فصل الدين عن السياسة، وفي إسبانيا ألف سارفانتيس Cervantes (1616م) قصة "دون كيشوت" بالإسبانية. وكان للترجمة التي وضعها مارتن لوثر Luther (1546م) للإنجيل أثر كبير على تطور اللغة الألمانية، وفي إنجلترا وضع الروائي شكسبير كل مسرحياته باللغة الإنجليزية. فكان للحركة الإنسانية أثر عميق في الأدب الأوروبي، وبذلك أسهمت الكتابة باللغات الوطنية في تعزيز الشعور القومي لدى الشعوب الأوروبية.

النهضة الفنية:

إن حركة فنية ناشطة بدأت في قلب العصور الوسطى، وبصورة خاصة منذ مطلع القرن 12م محققة تطورا كبيرا في فن النحت والعمارة. وقد كان فن النهضة، على عكس فن العصور الوسطى وفن العمارة بالذات، يأخذ اتجاهات جديدة بحكم تأثير موجة إحياء التراث. كما أكدت النهضة الفنية على الإنسان من خلال النحت والرسم، إذ لم يعد الفن مجرد عملية استتساخ آلي لقوالب تفرضها الكنيسة، وإنما أصبح تعبيرا حرا عن عقلية الفنان في عصر النهضة. هكذا بدأ العمل الإبداعي بعد التحرر من القيود الكنسية. لهذا مثلت الفنون والفنون الجميلة، من رسم ونحت وموسيقى ومسرح، التي مزجت بين الفن القديم والإبداع، روح النهضة التي كانت إيطاليا مهدا لها. والفن هو الذي ساعد في ظهور عدد كبير من الرسامين والنحاتين والفنانين مثل ليوناردو دافنشي De Vinci (1519م) في الرسم، ومايكل أنجلو Angelo (1564م) في النحت، كذلك تطورت الهندسة العمرانية. لقد انعكست حركة إحياء التراث بشكل واضح في النهضة الفنية التي تجلت من خلالها معاني الفنون الجميلة، حيث أن الحركة الفنية كانت موجودة في أوروبا منذ مطلع القرن 12م، إلا أن الذي ميّز النهضة الفنية هو أن فن العمارة والنحت والرسم بالذات بدأ يأخذ اتجاهات جديدة بحكم تأثير موجة إحياء التراث، يضاف إلى هذا أن النهضة الفنية أكدت على الإنسان من خلال النحت والرسم.

1/ دور المدن: أدت المدن الإيطالية دورا هاما في تقدم الفنون لأنها كانت مراكز الحياة الفنية، وكانت روما بطبيعتها على رأس المدن الإيطالية التي احتضنت الفن والفنانين. وقد ساعد بعض الباباوات على

ازدهار النهضة الفنية بروما، التي شُيدت بها في هذه الفترة مجموعة من الكنائس، مثل كنيسة القديس بطرس التي تعاقب على تزيينها وزخرفتها كبار المعمارين والرسامين والنحاتين. ولم تقتصر رعاية الفنون على روما بل انتشرت في جميع المدن الأوروبية، ويمكن اعتبار فن العمارة والنحت والرسم الأساس الذي ارتكزت عليه النهضة الفنية في أوروبا.

2/ تحرر الفن من قيود الكنيسة: يقول أحد مؤرخي الفن: "طالما كانت العصور الوسطى في الواقع عصورا دينية، وطالما أن عصر النهضة يعنى على الأقل محاولة العودة إلى الوثنية اللادينية إن لم نقل الزندقة، فإن فن العصور الوسطى يرتبط بالكنيسة، أما فن عصر النهضة فيتمتع بحرية بوهيمية، وهذه هي حقيقة الأمر". وكان النحاتون والرسامون في ذروة عصر النهضة يُقلدون العري الكلاسيكي كما يُقلدون كل شيء كلاسيكي آخر. والفنان بدأ يقود شيئا يشبه نوع الحياة وحشا فاحشا مجازفا، ولكنه عظيم الأهمية، ومن المفروض أنه لا يزال يقوده. لقد كان فنانو عصر النهضة الذين كرسوا جل حياتهم الفنية لغرض جعل المعتقدات المسيحية واضحة تبدو في أجمل مظاهرها للعيان يستمرون في القيام بالأعمال التي ورثوها عن الرواد السابقين للعصور الوسطى (الإغريق والرومان)، ف تحول الفن في العصور الحديثة إلى فن علماني تقريبا، حتى أن الفن الديني كاد يختفي أو بالأحرى أصبح في الدرجة الثانية استنتاجا وتقليديا. إن الكتاب الخياليين هم الفنانون القريبون من قلب الوضع الإنساني نحو الحياة، إن بترارك و رابله Rabelais (1553م) وشكسبير وسرفانتس والرسامين والنحاتين والموسيقيين هم نوع من الرجال الذين ينشدون طريقا وسطا بين المسيحية التقليدية كما خلفتها العصور الوسطى، وبين العلمانية الحديثة التي يبدو أنها تقلع جذور السحر والسر من الكون. كان هؤلاء الفنانون في تمرد ضد التقليد المسيحي خلال العصور الوسطى، وقبول هؤلاء العلماء المجرّد لأي شيء كتبه قدماء اليونانيين والرومان لم يكتف به رجال الفكر، وكل شخص أُلّم بكل ما له علاقة بالعقل عاد هؤلاء الفنانون إلى الإغريق والرومان، وكانوا بذلك كالمهندسين المعماريين حيث أعادوا تجديد موادهم. وأصبحت الطبيعة والطير والحيوان والزهور من واقع الحقيقة والمشاهدة، وهو حدث جديد في الفن وخروج عن التقليد القديم في تصوير العذراء والطفل وتصوير القديسين.

3/ النحت والعمارة: بلغ التجديد الفني في هذا المجال مستوى ممتازا من الكمال، وكانت الخطوة الأولى ترك أساليب الماضي إلى الأسلوب الكلاسيكي. ولم يقلد المعماريون من التراث بشكل جامد بل جعلوا العمارة الجديدة معبرة عن روح العصر والبيئة. واتخذ فن النحت في تطوره منهجا في الرغبة الجامحة بالتزود من تراث القدماء من يونان ورومان، وكان من أبرز النحاتين دوناتللو Donatello (1466م) النحات الفلورنسي الشهير الذي أوجد مدرسة خاصة جديدة اعتمدها في أعمال النحت عُرفت بالمدرسة الطبيعية، واعتبرت مصدرا أساسيا من مصادر الإلهام لديه. وقد أبرز في أعماله جمال الطبيعة وتناسق الأجساد وتعبير الوجه، وسعى دوما لجعل تماثيله طبيعية عادية بعيدة عن التكلف. ومن أبرز النحاتين كذلك نجد تلميذه مايكل أنجلو الذي تأثر بالمدرسة الطبيعية وتأثر في الوقت نفسه بالمدارس الإغريقية

والفلسفة اليونانية ونظرتها إلى الإنسان، فحاول دائما أن يبرز في أعماله القوة والعظمة التي يمتلكها الإنسان. ومن أهم أعماله نحت المجموعة الرخامية الشهيرة التي تمثل العذراء والطفل، وكذلك نحت ورسم سقف كنيسة سيكستين في الفاتيكان.

4/ فن الرسم: كان فن الرسم قد بلغ مرحلة لا بأس بها في أواخر العصور الوسطى إلا أنه كان حبيس اتجاهات الكنيسة في خدمة أغراضها. وكان الرسم يتم على جدران الكنائس أو القصور أو على الخشب. أما في عصر النهضة فقد تعلم الرسامون فن الرسم الزيتي، وأصبحوا يعالجون مواضيع بعيدة عن الروح الدينية مستمدين أفكارهم من الطبيعة والحياة والإنسان والجسد، ويعبرون في رسومهم عن العواطف والمشاعر والغرائز والأحاسيس. وكان أبرز رسامي عصر النهضة هو ليوناردو دافنتشي الذي بلغ قمة الإبداع في رسمه لوحة العشاء الأخير الشهيرة ولوحة الموناليزا الشهيرة.

النهضة الفكرية:

1/ تمجيد العقل: ظهر مجموعة من الفلاسفة والمفكرين دعوا إلى تمجيد العقل والإيمان بقدرته على حل الأزمات والمشاكل الإنسانية، والتخلص من اللاهوت في تفسير ومحاكمة الأشياء والمفاهيم، شعارهم في ذلك: "لا سلطان للعقل إلا بالعقل". وتعهد الحركة الإنسانية الجديدة العلمانيون وأمراء أوروبا وملوكها الذين كانت سلطتهم تتعاضد وتشهد قصورهم الفخمة على أبهتهم ونفوذهم، وكان هذا مدعاة لاهتمام مفكري النهضة بالسياسة والدولة المثلى والحاكم النموذجي وأفضل القوانين، لاسيما وأنهم كانوا يعتقدون أن بوسع البشر تحسين أوضاعهم بأنفسهم، وهكذا تناول إيراسموس Erasme (1536م) الشؤون السياسية في مؤلفاته. وقد اعتمد عصر النهضة في التعليم في جميع مجالاته على الأدب والفلسفة والتاريخ، عائدا إلى تلك النظم الكلاسيكية. وساد الاهتمام بالحياة الدنيا والوجود الإنساني فيها الذي نشأ كرد فعل لتركيز الكنيسة على عالم الآخرة، وحصر كل النشاط الفكري والفني لأتباعها في مجال الحديث عن الثالوث والقدسين والملائكة والمعجزات، وكبت المشاعر والأحاسيس الإنسانية أيا كانت، ما لم تكن في حدود دائرتها اللاهوتية. ومن هنا أطلق على الحركة بكاملها وصف الإنسانية. فمجال التاريخ حسب فولتير Voltaire (1778م) يجب أن يتسع لما هو أهم لتتبع إنجازات العقل البشري في التاريخ، فذلك أجدر بالاهتمام من أخبار الملوك والحكام وحوادث البلاط، فالخير الحقيقي للإنسانية ليس في قادتها وحكامها وإنما في فلاسفتها وعلماءها ومفكرها.

2/ مكانة الإنسان: وقد قام دانتى في هذا المجال بمثل ما قام به مكيافيلي في مجال السياسة، فقد خرج على الكنيسة خروجاً صريحاً، وناقض تقاليد ومقاييسها، وابتداءً منه أخذ الأدب الأوروبي يحل الإنسان شيئاً فشيئاً محل الإله، فالاهتمام بالإنسان الذي نبه إليه دانتى ومعاصروه كان المنطلق لمحاولة تأليه الإنسان وتصويره على أنه إله حقيقي. إن الأمر الجديد هو الاهتمام بشؤون الإنسان في الحياة الدنيا، ويمكن تفهم خطورة هذا الجديد الذي زاحم القديم مقارنة له بالعقائد المسيطرة على أذهان الناس في ذلك

العصر عن الحياة والكون، ومؤداها أن الحياة الدنيا ليست إلا تمهيدا لاستقبال الحياة الأخرى. وقد هيمن هذا الاعتقاد على الناس في القرون الوسطى جيلا بعد جيل تحت سطوة الكنيسة وسيطرتها العاتية على جميع نواحي النشاط الإنساني، وجميع المؤسسات الاجتماعية، بينما كان علم العلماء كله يدور حول المبادئ الدينية والعقائد الكنسية. والواقع أنه ابتداء من القرن 12م وما بعده زاد احتدام هذا الموقف وهذه الاهتمامات، وتحدث الفن عن نفس القصة التي تحدث عنها الأدب، فالعذراوات والقديسون والأقدمون تحولوا إلى رسوم واقعية، وانقلبت صور العذراء التقليدية البيزنطية إلى فتيات قرويات إيطاليات.

3/ التمتع بالحياة: ولكن أهم ما أخذ العلماء الإنسانيون عن الإغريق كان التمتع السعيد الطبيعي السليم بخيرات الحياة في حضارة رفيعة. ووجدوا أن اللذات غير الضارة والميول الطبيعية تعتبر الوسائل التي بواسطتها ينظم العقل حياة صالحة، وأنها ليست من الشيطان، فلا داعي إذن إلى اعتبارها ذنبا، إما أن يقهر بعون إلهي أو ينهل منه في خجل وشعور بالعار... أدى كل هذا بالطبع إلى ثورة على الأخلاق المسيحية، فبدلا من المحبة حل الفرح باستعمال الإنسان للقوى التي وهبه الله إياها، وحلت الحرية والمسؤولية بتوجيه العقل محل الخضوع لإرادة الله، وأخذ البحث الفكري الجريء يحتل بالتدريج مكان الإيمان. وانفجرت العاصفة بكامل عنفها على رأس الراهب، ذلك أن فشل الراهب في تحقيق الطهارة التي بشر بها جعلت أدب القرون الوسطى منذ ولادته يعطي لزللات الراهب صورة أكثر بشاعة، وصورته بأنه أكثر حيوانية من سواه، وجاء أحذق الإيطاليين وأجرئهم إطلاقا لورنزو فاللا Valla (1457م)، فأنكر في كتابه "حياة الرهبانية" كل قيمة للنقشف والقداسة، وذهب أبعد من ذلك في رسالته عن اللذة التي يتفق فيها مع المذهب الأببوقوري، فأعلن أن المرأة المتزوجة بل المستهترّة أيضا هي أفضل من الراهبة، لأنها تسعد الرجل، أما الراهبة فهي تعيش في تبتل لا فائدة منه. وينعت موت الإنسان في سبيل بلاده أو من أجل أي مثل أعلى بأنه لا يقره العقل. هذا التحول المفاجئ يوحى في بعض الأحيان بالرجوع إلى ما يشبه الوثنية الخالصة. ويمثل الفن الإيطالي أحسن تمثيل المزج الكامل بين المسيحية والوثنية، فبعض الرسوم الشهيرة لا يمكن التفريق فيها بين الله والملاك والعذراء والصبي وكيوبيد (ابن الإلهة فينوس) والقديس. هكذا كانت ثورة الطليان على الأخلاق المسيحية واستبدالها بمجرد التمتع بالملايين من أشكال الجمال.

النهضة العلمية:

1/ الاهتمام بالعلم: يتفق معظم الدارسين على أن القرن 15م، يعد نقطة انطلاق عصر النهضة العلمية التي توجت في القرنين 16م و17م بالثورة العلمية التي أسهمت في تغيير جذري لكل مرافق الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها. وقد برزت نوعية التحول وشموليته في تسارع وتيرة الإنتاج العلمي، وإيجاد حلول علمية لأسئلة طالما استعصت على الدارسين حول حركة الأجسام وسر انتظام حركة الأجرام السماوية وطبيعة الضوء والمد والجزر، وإعادة سبك المعارف العلمية القائمة التي

أنجزها الإغريق والمسلمون خصوصا، وفي انتشار المعرفة العلمية لدى فئات كثيرة من الناس، ولاسيما العاملين في النشاط الاقتصادي والتقني والفني والسياسي، مما جعل القرارات والإنجازات في مجالات الحياة المختلفة تتأثر بنتائج العلوم المختلفة التي بدأت مع نهاية القرن 19م وبداية 20م، تشهد تطورا نوعيا سريعا لم تعهده من قبل.

2/ العقل والعلم: لقد روجت النهضة بمظاهرها الفكرية والعلمية والفنية أفكارا جديدة كان لها أثر كبير في تشكيل ذوق وفكر الإنسان الأوروبي الذي شمل جميع الميادين حتى الميدان الديني منها. وعلى هذا الأساس، أدى تلازم العقل والعلم إلى ابتعاد المجتمع الأوروبي عن الخرافات والأساطير في تفسير مجريات الحياة. كما ظهر منظور جديد للإنسان، إذ تغيرت رؤية الإنسان إلى العالم وإلى نفسه وإلى الدين كذلك. جهود هؤلاء في بداية القرن 16م كانت قد أثمرت أن حل العقل محل الوحي، العلم والمعرفة كانا البديل للإيمان الأعمى بعالم المعجزات. لكن هذا التبدل من حال إلى حال، من العصور الوسطى إلى النهضة، لم يكن ممكنا بدون الثورة العلمية لذلك، هي أيضا جزء لا يتجزأ من عصر النهضة. وكانت النتيجة أن أصبحت التجربة أساس العلم.

3/ أشهر العلماء: لقد أسهمت مجموعة من العوامل الدينية والفكرية والعلمية في هذه التحولات، كان من أهمها، الثورة الدينية والنزعة الإنسانية التي نادى بها عدد كبير من المفكرين والفلاسفة، إضافة للنظريات العلمية التي أسس لها عدد من العلماء، أمثال كوبرنيك Copernic (1543م) وغاليليو Gallilé (1642م) ونيوتن Newton (1727م). ومال الفلاسفة إلى إعمال العقل في فكرهم، ومنهم ديكارت Descarte (1650م) وسبينوزا Spinoza (1677م) حيث كان دورهم لا يقل عن دور العلماء.

4/ علم الفلك: لقد وضع الإنسان قواعده الفكرية العلمي الحديث، ما ساهم في تحرير عقل الإنسان الأوروبي، حيث نهجوا أسلوبا في البحث يعتمد على المنطق والتجربة في التحليل واستتباط الاستنتاجات، واعتبروا بذلك مؤسسي العلوم التجريبية في أوروبا. وكان سبق الجميع روجر بيكون Bacon (1294م) الذي رفض الإيمان الموروث الذي لا يخضع للعقل والتحقيق. كتب يقول أن العلوم التجريبية هي الأصح بين كل العلوم، لأنها تحقق نتائجها وتصححها بالتجربة. وظهرت نظريات لتفسير الكون، فقد أعلن العالم البولوني كوبرنيك نظريته التي فند بها اعتقاد الكنيسة في أن الأرض ثابتة وتشكل مركز الكون، وأكد الإيطالي غاليليو نظرية كوبرنيك، وأثبت وجود كواكب أخرى إلى جانب المجموعة الشمسية، طبعا تصدت الكنيسة لهذه النظرية. إن تحقيق نظرية مركزية الشمس ودوران الكواكب حولها، بما فيها الأرض، جاء عن طريق علماء وفلاسفة تجريبيين: كيبلر Kepler (1630م) وديكارت وسبينوزا ونيوتن. كان تأثير مركزية الشمس على الفكر الديني الثابت في ذلك الوقت، يماثل تأثير نظرية التطور لعالم الطبيعة والحفريات شارل داروين Darwin (1882م)، بعد ذلك بثلاثة قرون. ثم جاءت هزيمة أخرى للكنيسة على يدي غاليليو. ففي عام 1590م قام بعمل تجربة الأجسام الساقطة من برج بيزا المائل، وأعلن أنه سوف يلقي جسمين مختلفين في الوزن من أعلى البرج، وتتأبأ بوصولهما معا إلى سطح الأرض، وهذا

يخالف المعارف السابقة. هذا يعني أن التجربة أثبتت خطأ ما كان سائدا نظريا بدون تجربة. التجربة يجب أن تأتي أولا، ثم بعدها يأتي الاستنتاج والنتيجة المبنية على المعادلات الرياضية. نتائج أعمال غاليليو كانت هائلة؛ قوانين حركة الأجسام، هي التي تشكل العالم، تتحرك بالنسبة للمكان والزمان. وباختراعه للتلسكوب اكتشف أن كوكب المشتري له أقمار خاصة به تدور حوله، وإذا كانت الأرض هي مركز الكون، لماذا لا تدور هذه الأقمار حول الأرض بدلا من دورانها حول كوكب المشتري؟ ألا يعني هذا أن مركزية الشمس هي الأصوب؟ التفكير يأتي أولا، ثم المعادلات الرياضية، بعد ذلك تأتي التجربة.

5/ علم الطب: كما عرف الطب تقدما فتح الطريق أمام اكتشاف جسم الإنسان، وبدأ الأطباء يمارسون التشريح رغم معارضة الكنيسة، فتمكن البلجيكي أندري فيزال André Vésale (1564م)، اعتمادا على التشريح من وضع وصف لأعضاء جسم الإنسان، واكتشف الإسباني ميكل سيرفيت Michel Servet (1553م) الدورة الدموية الصغرى (الرئوية)، وطور الفرنسي أنبرواز باري Ambroise Paré (1590م) العمليات الجراحية لإيقاف النزيف الدموي.

النهضة الاقتصادية:

1/ الانتقال للرأسمالية: تجلت النهضة الاقتصادية في تأسيس نسق عملي يتضمن الصناعة الحرفية والتجارة في المعادن والنشاط المصرفي، وكانت أهم فروعه في جنوة وميلانو، إلى جانب احتكار المدن الإيطالية للنشاط التجاري. انتقل المجتمع الأوروبي اقتصاديا، من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي الذي تبنته الطبقة البورجوازية، وارتبطت الحركة الاقتصادية بعنصر التمدن، إذ أصبح الاهتمام متركزا على التجار (التاجر قديما عند الغرب لا قيمة له)، لأنهم هم الذين أسهموا في نقل الحضارة الأوروبية من حضارة بدوية إلى حضارة مدنية، وأصبح الربح هو الهدف الأساسي ويقوم على اقتصاد المبادلات، وأصبح ينظر له كقيمة خلقية تجعل منه عنصرا للحضارة. وشكلت حركة النهضة ثورة ثقافية واسعة شملت مختلف مناطق أوروبا واتخذت أشكالا متنوعة تميزت في مجملها بمعارضة أفكار الكنيسة الكاثوليكية، وعكست طموحات البرجوازية الناشئة في إعطاء الأولوية للفرد، وفسح المجال أمام المبادرات الفردية عاملة بذلك على إرساء قاعدة فكرية لنمو النظام الرأسمالي. وكانت النتيجة تقلص نفوذ الإقطاع ونمو الحركة التجارية.

2/ الكشف الجغرافية: ساهمت التطورات العلمية في انتشار الفضول العلمي الذي تزامن مع الحاجة الاقتصادية لأوروبا الغربية وطموح ساستها، وانبعاث روح صليبية أحيانا، مع التطورات السياسية والعسكرية التي عرفها المتوسط في النصف الثاني من القرن 15م ودفعت للاستكشاف الذي تجسد في الرحلات البحرية الكبرى التي انطلقت من إسبانيا والبرتغال بشكل خاص نحو مناطق كانت مجهولة لدى الأوروبيين في أفريقيا وآسيا والعالم الجديد.

المراجع:

جورج ليفه: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية ق 14 وحتى نهاية ق 18، ج 2 ، منشورات عويدات، بيروت - باريس.

محمد مظفر الأدهمي: دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث، مكتبة المعارف، الرباط، 1984.
عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، 1999.

https://www.marefa.org/%D8%B9%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9

<https://www.arabency.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D9%88%D8%AB/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8>

http://alhawali.com/popups/print_window.aspx?article_no=6150&type=3&expand=1

<http://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9->

4. خصائص النهضة ونتائجها

خصائص النهضة:

ظهرت النهضة واسعة شاملة، وكانت في حقيقة أمرها امتدادا لما سبقها من تيارات حضارية شهدتها أوروبا في العصور الوسطى، لأنه من الثابت تاريخيا أن تيار الحضارة لم يتوقف في أوروبا إبان العصور الوسطى، وأن هذه العصور لم تخل من وثبات حضارية. لكن النهضة جاءت بمفاهيم جديدة، وأحدثت تغييرات جذرية تسلمت إلى مختلف القطاعات السياسية والدينية والثقافية والفنية والاجتماعية. وكان أهم اتجاهين سادا هذه الحركة هما:

إحياء المؤثرات الكلاسيكية في الأدب والفن، ثم تحرير الفكر والفرد من قيود العصور الوسطى وأغلالها. وقد أدى اتجاه النهضة نحو حرية البحث والاستقصاء إلى حركة الإصلاح الديني. ومن الآثار الطيبة لحركة النهضة تنوير الفكر وانتشار التعليم الذي تحققت بفضلها أعظم نتائج النهضة وأكثرها ديمومة واستمرارا، وهي إيجاد نوع من الوحدة الثقافية والخلقية بين بلدان غرب أوروبا قامت على أساس الضمير الفردي وحرية الفكر. وقد تميزت النهضة الحديثة بعدة خصائص:

1/ اعتمادها على المدن:

اعتمدت النهضة في نموها وانتشارها على المركز القوي الذي وصلت إليه المدن في نهاية العصور الوسطى؛ فقد نجحت في أن تصبح وحدات سياسية حرة في وسط إقطاعي متزمت، وغدت مهدا للطبقة الوسطى ولنمو الشعور القومي، وأن تكون أداة هدم في بنيان النظام الإقطاعي، والحد من نفوذ الكنيسة. لقد تجمعت في المدن الثروات، خاصة منها الأموال السائلة، ولأن سكان المدن اعتمدوا على التجارة والصناعة، وابتعدوا عن سيطرة النبلاء الإقطاعيين، فقد قامت النهضة الأوروبية على أكتاف سكان المدن، وهم من الطبقة الوسطى. وكانت هذه المدن مراكز إشعاع فكري وفني وقومي وحضاري، ومهادا للنشاط الاقتصادي والسياسي في أوروبا. لم تظهر النهضة في جميع البلاد الأوروبية في وقت واحد، بل ظهرت فيها تباعا: بدأت في مدن شبه الجزيرة الإيطالية، وعندما اكتملت تسربت إلى غرب أوروبا بمفاهيم جديدة، محدثة تغييرات جذرية في مختلف القطاعات السياسية والدينية والثقافية والفنية والاجتماعية.

2/ استقلالية الفرد وحرية الرأي:

ظهر الفرد خلال النهضة متمتعا بشخصية مستقلة، له حرية الرأي والتصرف، وأصبح الخلية الأولى في بناء المجتمع، إذ لم يعد يذوب في جماعة أو طائفة أو نقابة ينتمي لها، التي تعددت أمامه طوال العصور الوسطى، بسبب استبداد النظام الإقطاعي وصرامة تعاليم الكنيسة. ولم يكن أمام الشخص الطموح

المغمور سوى الانتظام في سلك الكهنوت ابتغاء الوصول في نهاية المطاف لمنصب كبير في الكنيسة، يدر عليه مرتبا كبيرا. لقد أعطت النهضة مكانة هامة للإنسان ولعقل الإنسان باعتباره محور الوجود، فنشأت العلمانية. وقد انتشرت هذه الأفكار التي دعا لها الإنسان بوسيلة بطبعة التي اخترعها الألماني غوتنبرغ سنة 1450م.

3/ الحركة الإنسانية:

تمثلت أهم خصائص النهضة في الحركة الإنسانية، وهي حركة تجديد ثقافي اهتمت بالرجوع إلى التراث الأوروبي القديم، مستفيدة من الترجمات والدراسات العربية والاتصال بالعلماء الإغريق. اهتم مفكرو الحركة بالعقل ودعوا إلى الاطلاع على جميع صنوف الفن والمعرفة. وقد ساهم اختراع الطبعة في نشر أفكار رواد الحركة الإنسانية، والتي منها:

- الاعتماد على الثقافة التي خلفها التراث اليوناني والروماني القديم.
- تجاوز الفكر الديني والخرافي الذي ساد أوروبا خلال العصور الوسطى.
- التركيز على تعلم اللغات وعلوم الهندسة والحساب والموسيقى والفلك والطبيعة والطب...

4/ الإصلاح الديني:

تأزمت وضعية الكنيسة بعد إهمال رجال الدين لدورهم الديني، حيث أصبح همهم الأساسي هو تأمين مصالحهم المادية وجمع الأموال عن طريق الضرائب الدينية، وبيع صكوك الغفران. وانطلقت حركات الإصلاح الديني من ألمانيا على يد مارتن لوتر الذي دعا إلى أن الإيمان وحده لا يكفي للخلاص، منتقدا ممارسات رجال الدين. وأدى انتشار حركات الإصلاح الديني بأوروبا إلى ظهور الحركة البروتستانتية التي اختلفت مبادئها حسب الدول (لوثرية، كالفينية، أنكلكانية)، ما أدى لنشوب الحروب الدينية.

الخلاصة:

شكل عصر النهضة مرحلة هامة في تطور بلدان غرب أوروبا التي تدعمت قوتها بفضل حركة الكشوفات الجغرافية. ويمكن حصر خصائص النهضة في:

- اعتمادها على المدن التي أصبحت وحدات سياسية واقتصادية مستقلة. ولم تظهر النهضة في جميع أوروبا في وقت واحد، بل ظهرت في مدن شبه الجزيرة الإيطالية، ثم تسربت إلى بقية دول غرب أوروبا.
- تمتع الفرد بشخصية مستقلة وبحرية رأي وتصرف ما أدى لظهور العلمانية بعيدا عن رحاب الكنيسة.
- الحركة الإنسانية.
- الإصلاح الديني.

نتائج النهضة:

1/ إحياء الدراسات القديمة:

استهوت الدراسات الإغريقية واللاتينية عقول الكثير من الأوروبيين، وقد وجدوا معظم مجلداتهم في الكنائس والأديرة، فعكفوا على دراستها وترجمتها إلى اللغات المحلية، مما فتح نوافذ المعرفة أمام غالبية الأوروبيين للمرة الأولى. فظهرت شخصية الفرد التي كانت مطموسة في العصور الوسطى في إطار الكنيسة، وبذلك فكت النهضة أغلالها، وأعادت للفرد كرامته وإنسانيته، وصقلت عبقريته في كل الميادين، وبذلك تطور المجتمع.

2/ انحلال الإقطاع:

تم القضاء على النظام الإقطاعي بعد أن ضعُف لموت عدد كبير من النبلاء في الحروب الصليبية، وانصراف عدد آخر للتجارة، ما أدى لتحرر الفلاح والقم، وظهور الإصلاحات الاقتصادية في القرون اللاحقة.

3/ ظهور الدول الحديثة:

عبر تطوير أساليب الحكم، وقد ساعد في ذلك الأفكار الجديدة؛ مثل أفكار المفكرين مكيافيلي الإيطالي مؤلف كتاب "الأمير"، ومؤلف "الكتب الستة للجمهورية" جون بودان الفرنسي Jean Bodin (1596م)، ومؤلف كتاب "ليفيثان" "Liviathan" الإنجليزي توماس هوبز Hobbs (1679م)، وتدفق الثروات الناتجة عن الكشوفات الجغرافية الكبرى، وما صاحبها من نتائج ملموسة ساعدت في المزيد من التطور في أوروبا، واستغلال مناجم الذهب والفضة للقارة الأمريكية، خاصة من طرف إسبانيا والبرتغال في البداية. فساندت الطبقة المتوسطة الملوك على استتباب الأمن والنظام، والقضاء على الإقطاع فضلا عن تكوّن الرأي العام ونمو اللغات المحلية وظهور الروح القومية. وقد كان لهذه العوامل أثرها الفعال في قيام الدول الأوروبية الحديثة.

4/ الإصلاح الديني:

كان نتيجة الثورة على مفاصد الكنيسة والدعوة لتصحيح المفاهيم الدينية، ما أدى لظهور مذهب مسيحي جديد في أوروبا هو المذهب البروتستانتي، وظهور الإصلاح المضاد لهذا الأخير.

نتائج النهضة النهائية:

- انتقال الريادة التجارية من المتوسط للأطلسي.
- تغيير أوضاع الشعوب الأوروبية.

- ظهور الاختراعات وتطور مجالاتها في القرون اللاحقة.
- تطور تقنيات الملاحة البحرية.
- ظهور إمبراطوريات كبرى وبداية التنافس الاستعماري.
- اختلال التوازن بين العالم الإسلامي والعالم الأوروبي نتيجة ضرب التجارة الإسلامية في إفريقيا الشرقية والبحر المتوسط والبحر الأحمر.
- انتشار تجارة العبيد والرقيق.
- القضاء على الحضارة القديمة.
- انتشار المسيحية.

تعتبر النهضة النواة الأولى للتطور في أوروبا، وقد كانت بدايتها إيطالية لتلقي بضلالها على باقي أوروبا والعالم. وشكلت الآداب والفنون باكورة هذه النهضة، لتشمل بعد ذلك مجالات مختلفة كالعلم والاقتصاد والدين، فكانت مهداً للحركات الثقافية والاقتصادية والسياسية في القرون اللاحقة: حركة الاستنارة بفرنسا، الثورة الصناعية بإنجلترا، الثورة الجليلية 1688م، الثورة الفرنسية 1789م،...

المراجع:

<https://www.ta3lime.com/showthread.php?t=22237>.

<http://www.uae7.com/vb/t29049.html>.

5. الحركة الإنسانية

مدخل:

تعتبر أفكار عصر النهضة والمقولات الملازمة لها بمثابة ثورة ثقافية يُعاد فيها الاعتبار لكرامة الإنسان وحقوقه وأحقّيته في ممارسة التفكير والتنظير لنفسه ومصالحه انطلاقاً من ذاته وعقله. وقد أدركت أفكار النزعة الإنسانية القيمة الكبرى لتلك المقولات التي رُفعت عشية الثورة الفرنسية "الحرية، الإخاء، المساواة"، حيث كانت منعطفاً لإعلان حق البشر في تطوير قدراتهم وإمكاناتهم والاهتمام بسعادتهم. فكانت هذه الثورة الثقافية تجديداً في نفس التفكير ومنعرجاً هاماً في الحياة الفكرية والفلسفية والعلمية للحضارة الغربية من جهة، وتغييراً لمسار الإنسان الغربي في رؤيته لنفسه والكون والحياة من جهة أخرى.

إن الحركة الفكرية التي نشأت في عصر النهضة الأوروبية هي الأساس في ظهور الحركة الإنسانية. وكان الوقود الذي أشعل هذه الحركة يحتوي على الفكر اليوناني الوثني المعارض للفكر الديني، والآداب اليونانية واللاتينية. من هنا كان شعار الإنسانية كلمة الفيلسوف اليوناني القديم بروتاجوراس Protagoras (485 ق.م-420 ق.م) "إن الإنسان مقياس للأشياء جميعها"

«l'homme est la mesure de toute chose» ، فضلاً عن انغماس الإنسان بالمادة، وحب اكتناز المال والثروات، والاستمتاع بالحياة الزائلة.

إن الحركة الإنسانية هي اتجاه فكري عام تشترك فيه العديد من المذاهب الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية، ظهرت في عصر النهضة، ودعت إلى إصلاح شامل للثقافة بغية الخروج من مجتمع عصر الظلمات السلبي الجاهل، نحو نظام جديد يُبرز أفضل القدرات الإنسانية عند الفرد، ويشجعها لتكون مؤثرة على صعيد نظام الدولة، سواء أكان جمهورياً أم ملكياً. وكان منهل الدراسات الإنسانية هو الأدب القديم الإغريقي والروماني، علماً أن لاتينية روما الجمهورية (509 ق.م-27 ق.م) والإمبراطورية (27 ق.م-476م) كانت أقرب إلى الإنسانين من اللغة اليونانية الأجنبية بالنسبة إليهم. وقد انبعثت هذه الحركة بعد أن لاقت الكثير من العناية والتشجيع المادي والمعنوي من حكام المدن الإيطالية والأغنياء والمشجعين الآخرين القائمين على هذه الدراسات.

التعريف اللغوي:

إن مصطلح "إنسانية عصر النهضة Renaissance Humanism" يعني التجديد والاستيقاظ من سُبات العصر الوسيط. وكان الباحث الألماني في القرن 19م أول من استخدم مصطلح النزعة الإنسانية Der Humanismus بتصنيفه في اللغة اللاتينية من الدراسات الإنسانية studia humanitatis "التي شملت حينذاك الشعر والبلاغة والتاريخ وفلسفة الأخلاق.

أما اشتقاق كلمة إنساني أو الإنسي "Humanist" فاشتقت في اللغات الأوروبية منذ القرن 16م، وبالتحديد عام 1539م. أما كلمة النزعة الإنسانية على هيئة الاسم أو المصدر "Humanise" فلم تُشتق

إلا في القرن 19م، وكانت كلمة الإنسي أو الإنساني تطلق على الباحثة المتبحرين في العلم، وخاصة علوم الأقدمين: اليونان والرومان، وقد ظهوروا أولاً في إيطاليا، قبل أن يظهرها في أوروبا.

التعريف الاصطلاحي:

إن النزعة الإنسانية هي تلك الفلسفة التي تضع الإنسان والقيم الإنسانية فوق كل شيء. إنها النزعة التي تثق بالإنسان وتتفاعل بإمكانياته؛ فهو قادر على صنع التقدم الحضاري. وقد نشأت هذه الحركة الثقافية في إيطاليا أولاً في القرن 14م، ثم انتشرت من هناك إلى بقية أنحاء أوروبا وبلغت ذروتها في القرن 16م وهو عصر النهضة بامتياز. وتعتبر هذه الحركة الإنسان أجمل الكائنات وأفضلها وأرقاها، وتثق به وبمستقبله كل الثقة. لقد عاد المفكرون الأوروبيون إلى النصوص اليونانية والرومانية التي كانوا قد نسوها أو أهملوها طيلة العصور الوسطى المظلمة الكارهة للفلسفة والثقافة، والمفعمة «بالجهل المقدس المسيحي». لقد عادوا فيما وراء المسيحية أو ما قبلها إلى اكتشاف نصوص هوميروس وأفلاطون (Platon 348ق.م) وأرسطو (Aristote 322ق.م) وشيشرون (Cicéron 43 ق.م) وفيرجيل (Virgile 19ق.م) وسواهم كثيرون. والإنسانيون هم الجماعة المثقفة من علماء وكنسيين ومثقفين وأساتذة جامعات ومؤلفين وأطباء... عبروا عن نزعة مجتمعهم، وسموا بالإنسانيين لأنهم اتخذوا الإنسان وحياته الحاضرة موضوعاً لدراساتهم وبحوثهم. ومعلوم أنه أثناء العصور الوسطى كان الشائع من العلوم الآداب الإنسانية والآداب الإلهية. والمقصود بالأولى مجمل المعارف الدنيوية التي كانت تُدرس للطلاب في كليات الفنون والبلاغة. وأما الثانية فكانت تُدرس في كليات اللاهوت المسيحي حيث الاهتمام بالدين والإنجيل وشرحه والتعليق عليه. وكانت الدراسات اللاهوتية تهيمن على الدراسات الإنسانية بشكل واضح طيلة العصور الوسطى. وذلك لأن العلوم الإلهية أشرف من العلوم الإنسانية وأجل شأنًا. وكانت الفلسفة تعتبر بمثابة خادمة طيبة لعلم اللاهوت المسيحي. وكان كلام رجال الدين شبه معصوم ولا يناقش وإنما يطاع فقط.

مظاهر الحركة الإنسانية:

1/ إحياء التراث القديم: ارتبطت الحركة الإنسانية بإحياء التراث، وقد أطلق اسم الإنسانيين على هذه الحركة لأن المعنيين بها كانوا يهتمون بدراسة الإنسان نفسه، وهو أمر جديد ذلك أن العصور الوسطى تناست إنسانية الإنسان واهتمت بروحه فقط وبالعلاقة بالخالق واليوم الآخر. ولقد ظهرت حركة الإنسانيين لأول مرة في إيطاليا ومنها انتشرت إلى المدن الأوروبية الأخرى، خاصة المدن الفرنسية والألمانية والهولندية. ويعتبر فرانسيسكو بترارك (Fransisco Petrarca 1374م) من أوائل إنساني عصر النهضة. لقد كشف في أواسط القرن 14م النقاب عن عدد كبير من المخطوطات القديمة المهمة التي كانت مهملة منذ زمن بعيد، مكتشفًا أعظم هذه الأعمال تأثيراً "رسائل إلى آتيكوس"؛ وهي مجموعة من الرسائل حول الحياة السياسية الرومانية كتبها السياسي والخطيب ماركوس توليوس شيشرون. كما يعتبر الهولندي إيراسموس (Erasmus 1536م) كذلك من أشهر من مثّل الفكر الإنساني، حيث استطاع

التوفيق بين الفلسفة القديمة والأخلاق المسيحية، وقضى حياته متنقلا بين الدول الأوروبية يدرس ويناقش. وفي سنة 1511م نشر كتابه "مدح الجنون" ينتقد فيه المجتمع الإقطاعي وينادي بالإصلاح، ولقد تمت ترجمته إلى اللاتينية. ولقي تحقيقه لكتاب العهد الجديد قبولا كبيرا، ورغم تنديد إيراسموس لتجاوزات رجال الكنيسة ظل وفيا للبابوية.

2/ الصراع بين الإنسانيين والدينيين: بدأت الأمور تتغير بدءا من القرن 14م حيث ظهر بترارك وتجراً على إبداء إعجابه بالكتاب الوثنيين السابقين على المسيحية. ثم تلاه آخرون كثيرون ومشوا على نفس الخط، وبزّر هؤلاء أخذهم عن فلاسفة اليونان والرومان بأن كتبهم تحتوي على الحكمة والعلم والعقلانية الصائبة على الرغم من وثنيته. وبالتالي فيجوز الأخذ عنهم دون أن نتخلى عن الإيمان. وهو موقف الفيلسوف المسلم الأول الكندي (873م). ولكن رجال الدين انزعجوا من هذا التصرف واعتبروه خروجاً على المسيحية، وقالوا إن الحكمة لا توجد إلا في الكتب الدينية. وهكذا جرت معركة بين الطرفين استمرت عدة قرون حتى انتصار الحداثة. لقد وضع هؤلاء الفلاسفة الإنسانيون الإنسان في مركز كل اهتمام أو تساؤل، وقالوا إن كل معرفة لا تهدف إلى الرفع من شأن الإنسان لا جدوى منها ولا لزوم لها. وراحوا يحلمون ببناء مجتمع يختلف عن مجتمع القرون الوسطى المستكين لأقوال الكهنة والمستسلم للمقادير والظروف. راحوا يحلمون بتثقيف الإنسان وتهذيبه لكي يصبح عقلاً ذكياً، معتمداً على نفسه وإمكاناته لا متواكلاً ولا كسولاً.

3/ دور الطباعة: على هذا النحو انطلقت الحركة الإنسانية قوية فاتحة. وبفضل المطبعة الآلية التي ظهرت في ذلك الوقت راحت كتب المفكرين الإنسانيين تنتشر في كل الأوساط بسرعة البرق. ففي السابق كان نسخ الكتاب الواحد بخط اليد يستغرق أسابيع كثيرة أو حتى شهوراً. وأما بعد اختراع المطبعة فقد أصبحت طباعته وبمئات النسخ تتم بين عشية وضحاها. وكل ذلك ساهم في انتشار الأفكار الجديدة لعصر النهضة والإصلاح الديني في آن معا. ولذلك قال أحدهم: لولا غوتنبرغ لما كان لوثر. المقصود لولا المطبعة لما نجح الإصلاح الديني.

4/ أكاديمية فلورنسا (المدرسة الأفلاطونية): دعم الأمراء الإيطاليون الإنسانيين معنواً، وأغدقوا عليهم مادياً، وحموهم من ضغط الكنيسة والعامّة والمتعصبين دينياً. هذا ما فعله أمراء مدينة فلورنسا التي أنجبت أشهر الرسامين والفنانين والعلماء والفلاسفة. فبفضل مساعدتهم راح المفكر مارسيل فيشان Marsile Ficin (1499م) يترجم مؤلفات أفلاطون وتلاميذه، وأسس في مدينة فلورنسا المدرسة الأفلاطونية. وكان من حسن حظها أن هاجر إليها كبار علماء بيزنطة بعد سقوط القسطنطينية على يد محمد الفاتح. ولكن هذه الأكاديمية تعصبت لفكر أفلاطون إلى حد أنها منعت تدريس فكر أرسطو الذي دخل إلى إيطاليا عن طريق المسلمين: أي عن طريق فلسفة ابن سينا (1037م) وابن رشد (1198م) بشكل خاص. ومعلوم أن فلسفة أفلاطون مثالية خيالية، في حين أن فلسفة تلميذه أرسطو واقعية مادية.

5/ الانقسام الديني: وهي مرتبطة بالمظاهر الفكرية، لأن تحرر الإنسان في تفكيره دفعه إلى مناهضة سلطة الكنيسة المطلقة، وبالتالي ظهور حركة الإصلاح الديني. ومنذ أوائل القرن 16م واجه شارل الخامس Charles Quint (1558م) إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة مشكلة في ألمانيا تمثلت في الحركة الدينية التي تزعمها مارتن لوتر ضد الكنيسة الكاثوليكية في روما، نتج عنها انقسام ديني مذهبي جعل سكان ألمانيا فريقين: كاثوليك وبروتستانت؛ مما أدى إلى حرب أهلية في ألمانيا امتدت إلى بقية أوروبا، ونتج عنها كثير من الدماء. ومن آثار هذه الحركة على العالم المسيحي أن خرج على الكنيسة الكاثوليكية أكثر من نصف أوروبا الغربية تحت اسم البروتستانتية، كما ظهرت أنواع جديدة من المذاهب البروتستانتية، بينما بقيت الدول الكبرى مثل فرنسا وإسبانيا والنمسا وإيطاليا على كاثوليكيته.

تيارات الحركة:

1/ التيار الدنيوي: لقد ضاق الإنسانون ذرعا برجال الدين ومواعظهم وأفكارهم التقليدية المكررة منذ مئات السنين. وشعروا بالاختناق في ذلك الجو المغلق للعصور الوسطى، حيث لا توجد إلا اليقينيات القطعية والتعاليم اللاهوتية المفروضة فرضاً من فوق وعن طريق الإكراه والقسر. ولذلك راحوا يقفزون على كل العصور الوسطى التي تبلغ الألف سنة لكي يعودوا إلى أجواء اليونان والرومان حيث كانت الحرية متوافرة. وهكذا راحوا يترجمون كبار كتّاب اليونان إلى اللغة اللاتينية أو اللغات القومية الأوروبية التي كانت في طور الانبثاق آنذاك: كالإيطالية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، الخ... وانتشرت الفلسفة ذات النزعة الإنسانية في ألمانيا وهولندا قادمة من إيطاليا ثم دخلت إلى فرنسا. وعندما عارض رجال الدين دخول الفكر الفلسفي بحجة أنه آت من جهة أعداء المسيحية والكفار، رد فلاسفة النهضة أن هذا الفكر يشكل جزءاً لا يتجزأ من ميراث البشرية والإنسانية. وأنهم بحاجة إليه وسوف يستفيدون منه أياً تكن الجهة التي جاء منها.

2/ التيار الديني: ثم ظهر تيار جديد لدى العلماء من رجال الدين مثّلوا النزعة الإنسانية المتدنية، حاولت التوفيق بين الكتابات المقدسة من جهة، وكتابات أدباء اليونان والرومان وفلاسفتهم من جهة أخرى. ويمكن اعتبار المفكر الهولندي إيراسموس أكبر مثال على هذا التيار، كذلك المفكر الإنجليزي توماس مور Thomas More (1535م). وبالتالي فالنزعة الإنسانية ليست كلها إحادية. بل إن التيار المؤمن كان هو الغالب عليها. الإلحاد لم ينتصر إلا لاحقاً في القرنين 19م و20م. ولكن حروب المذاهب داخل المسيحية بين الكاثوليك والبروتستانت، وكل المجازر التي رافقتها وضعت حداً للنزعة الإنسانية المتفائلة جداً بنوايا الإنسان وإمكاناته. فقد كشف الإنسان عن وجهه القبيح أثناء تلك الحروب المذهبية المدمرة، وبدا أنه قادر على ارتكاب أبشع الأعمال والمجازر.

3/ التيار الواقعي: ثم طرأ تحوّل على مفهوم النزعة الإنسانية وأصبح أكثر واقعية إن لم يكن أكثر تشاؤماً. وهذا ما يتجلى في كتابات الفيلسوف الفرنسي مونتيني Montaigne (1592م) الذي صوّر

الإنسان كما هو عليه لا كما نحلم أن يكون. فالإنسان المثالي الذي يترفع على الصغائر ولا يفعل إلا الخير لم يعد له وجود لديه، وإنما بدا الإنسان على حقيقته بخيره وشره، بعجزه وقوته. فبقدر ما هو قادر على صنع المعجزات وتحقيق التقدم، بقدر ما هو قادر على ارتكاب أكبر المجازر والحقايات في حق أخيه الإنسان، إذا ما اختلف عنه في العقيدة أو المذهب. وعندئذ بدأت تظهر نزعة إنسانية معادية للدين كرد فعل على حروب المذاهب والطوائف المسيحية، وما رافقها من فظائع ومجازر. وإذا كان اللاهوت المسيحي يسمح بارتكاب كل هذه المجازر الدموية بين أبناء الدين الواحد فلا حاجة لنا به! ولكن البعض الآخر ركز فقط على مسؤولية رجال الدين المتعصبين وليس على الدين ذاته، وقالوا بأنهم فهموا الدين بشكل خطأ وحرفوه عن مساره الصحيح. ومعلوم أن الكاثوليك البابويين كانوا هم الأغلبية، ولذا كانوا يَكْفِرُونَ البروتستانت وبقية المذاهب المسيحية ويستبيحون دماءهم. ثم واصلت الحركة الفلسفية الإنسانية مسيرتها إلى الأمام في القرون التالية، وولدت الفلسفة الكانطية في القرن 18م، نسبة للألماني عمانوئيل كانط Emmanuel Kant (1804م). وهي أكبر فلسفة نقدية تكشف عن إمكانيات العقل البشري ومحدوديته في آن معا. وقد أكدت الفلسفة الكانطية عندئذ على كونية الجنس البشري ووحدته، وقالت بأن الإنسان قادر على صنع التقدم: أي الخروج من مرحلة الأصولية والتخلف إلى مرحلة الحضارة والاستنارة وتحسين الأوضاع المعيشية على هذه الأرض. ثم استمرت الحركة الإنسانية بعدئذ حتى ولدت الإعلان الشهير لحقوق الإنسان والمواطن بعد الثورة الفرنسية.

خصائص الحركة الإنسانية:

1/ مبادئ الإنسانيين:

- أ/ يجب على الإنسان أن يبحث دائما على معنى وجوده وحياته.
- ب/ الحياة في حد ذاتها شيء رائع ويستحق أن يعيشها الإنسان مهما احتوت على صراعات وتناقضات.
- ت/ على الإنسان أن يواجه الألم ويتسلح بالأمل في نفس الوقت. يجب على أي إنسان أن يستكشف ويجتهد ويبحث في سر وجوده وحياته. تعتبر الحياة جميلة ويستحق أن يعيشها الإنسان بما فيها من تناقضات وصراعات، ويجب على الإنسان أن يتحلى بالأمل ويواجه الصعوبات والتحديات في الحياة.
- ث/ على الإنسان أن يهتم بالمادة قبل الروح لأنها الشيء الوحيد الذي يستطيع إدراكه والسيطرة عليه. والطريقة الوحيدة كي يحقق الإنسان إنسانيته هي في التمتع بكل الملذات الجسدية والحسية لأنها الشيء الوحيد الذي يستطيع الإنسان لمسه وإدراكه والسيطرة عليه.
- ج/ الإنسانية ترحب بالقومية والوطنية والمحلية، ولكنها تأبى العنصرية لأنها امتهان صارخ لبقية العوامل المشكلة للنسيج الإنساني الشامل، والأدب العنصري ليس سوى جسما غريبا في نسيج الأدب الإنساني سرعان ما يلفظه ويأباه.

2/ النزعة الإنسانية:

أ/ هي أنها على خلاف النظرة اللاهوتية للإنسان التي تراه جزء من نظام إلهي، والنظرة العلمية البحتة التي تراه جزءاً من نظام طبيعي، فإن النزعة الإنسانية تركز محور اهتمامها على الإنسان، وتبدأ من الخبرة الإنسانية.

ب/ القناعة بأن الفرد الإنساني ذو قيمة في حد ذاته، وأن احترام هذه القيمة هي مصدر كل القيم الأخرى وكل حقوق الإنسان.

ت/ الأهمية التي تعطيها للأفكار، والتي لا تتكون ولا يمكن فهمها بمعزل عن سياقها الاجتماعي التاريخي من ناحية، والتي لا يمكن أن تختزل لتصبح مجرد عقلنة للمصالح الطبقية أو الاقتصادية من ناحية أخرى.

خلاصة القول: أن النزعة الإنسانية ليست نسقاً فلسفياً مغلقاً، بل رؤية شخصية متعددة الجوانب، سواء في المجال الفلسفي أو الاجتماعي أو الأدبي أو السياسي. وتجعل النزعة الإنسانية محور اهتمامها الإنسان كإنسان، وتعمل على إطلاق قدراته وإمكانياته. وهي تمثل ثورة فكرية على المذاهب الدينية التي جعلت من الإله محور اهتمامها، وأهملت شأن الإنسان. وترتكز النزعة الإنسانية على الإنسان وتؤمن بأنه مصدر لكل معرفة. كما أنها تمثل نظرية ترفض تبني كل أشكال الاغتراب والاضطهاد، وتطالب باحترام الكرامة الإنسانية، ويجب أن يُعامل الأشخاص كغايات في ذاتها. وتؤمن هذه النزعة بالتححرر الفكري للإنسان من قيود الماضي وتقاليد العتيقة، وخصوصاً في القرون الوسطى وسيطرة الكنيسة. ولقد كان عصر النهضة الأوروبي هو المُلهم لظهور تلك النزعة في جميع مجالات الحياة.

المراجع:

حسن أبو عليّة وإسماعيل ياغي: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر.

<https://aawsat.com/home/article/519891/>

<https://www.marefa.org/>

<https://saaaid.net/feraq/mthahb/91.htm>

<http://mawdoo3.com/>

<http://www.almothaqaf.com/derasat/890047>

<http://www.histophilo.com/sophiste.php>

6. الإصلاح الديني

مدخل: لا يمكن أن نفهم عمق النزعة الإنسانية كفلسفة وإيديولوجيا ما لم نضع في سجل مباشر مع النزعة اللاهوتية التي تتجه إلى الاهتمام بالإله، وفي صراع مع طبقة الإكليروس السياسية. ولئن كانت حركة الإصلاح الديني هي الأخرى ضمن مسار النهضة الأوروبية فإنها كانت تشكل مع النزعة الإنسانية خطان متوازيان، حيث دخل على الدين، من التيار الإنساني، رفض للمفهوم التقليدي لانهطاط الطبيعة البشرية وعجزها، وتشديد على قيمة الإنسان الخلقية والفكرية. وارتبط ظهور "الأنسنة" أو المذهب الإنساني عموماً بعصر الإصلاح الديني، وعصر النهضة في أوروبا في القرنين 15م و16م. حيث بدأ التحول في تلك الفترة من الدين إلى العلم، ومن الله إلى الإنسان، ومن الماضي إلى الحاضر والمستقبل. إذ نجد أن أهم ما ركز عليه الإصلاح الديني، خاصة مع مارتن لوتر في القرن 16م، هو الاعتراف بدور العقل ومكانته في البحث الحر، وزعزعة الأستاذية العقائدية التي كانت تمارسها الكنيسة دون الخروج النهائي عن الإطار الأنطولوجي (مختارات) العام للوحي. وفي هذا السياق بدأ رفض فكرة التوسط بين الله والإنسان، وجعل علاقة الإنسان بالله مباشرة، كما تم رفض احتكار تفسير الكتاب المقدس، وإعلان حرية الإيمان.

شهدت أوروبا خلال القرنين 15م و16م حركات إصلاحية دينية تزعمها دينيون تأثروا بأفكار الحركة الإنسانية، فوجهوا عدة انتقادات للكنيسة الكاثوليكية، وطالبوا بإصلاح ديني يواكب التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. لهذا لا يمكن فصل حركة الإصلاح الديني عن روح النهضة، لأنها تمثل ثورة على سلطة الكنيسة المطلقة، وثورة على التعصب الأعمى والتجارة بالدين وفساد رجاله ومحاربة الخرافات. كان من رواد هذا الإصلاح، الإنكليزي جون ويكليف (Wyclif 1384م) والتشيكي جون هوس (Huss 1415م) وكانا ليريالين بالنسبة للإصلاح الديني، مثلما كان الكورسيكي جون سميث (Smith 1790م) بالنسبة للأمور الاقتصادية. والإصلاح الديني، هو مجرد تغيير لأسلوب طلب الخلاص. ميل البروتستانت لحق الاختلاف الديني، كان الأساس الذي بُنيت عليه الديمقراطية، كل مسؤول عن نفسه. الاعتقاد بالديمقراطية له مخاطره، لكن البديل هو غياب الحرية وعدم قبول الآخر كلية. الإنسان لا يحتاج لوساطة رجال الدين للوصول إلى الله. الإصلاح الديني عبارة عن تبسيط للعقيدة المسيحية، علاقة مباشرة بين العبد والرب، وإسقاط لقداسة كنيسة العصور الوسطى وسلطاتها الطاغية. لكن الإصلاح الديني بقيادة مارتن لوتر لم يبدأ من فراغ. فقد سبقته محاولات ومقدمات.

أسباب الإصلاح الديني:

1/ تدهور الكنيسة الكاثوليكية في روما وانحرافاتهما خلال القرنين 15م و16م: بلغ النفوذ البابوي ذروته، في القرنين 12م و13م، وأصبح البلاط البابوي في روما ينافس بلاطات الملوك والأمراء. ثم بدأت

البابوية تفقد هيبتها وسمعتها في أوائل القرن 14م، خاصة الفترة ما بين سنوات 1309م-1377م حيث استقر البابا بأفينيون بفرنسا تحت نفوذ ملك فرنسا، والكارثة الكبرى حلت بالكنيسة الكاثوليكية بين سنوات 1378م-1417م، عند حدوث "الانشقاق الديني الكبير"، عندما تواجد ثلاثة باباوات في وقت واحد، وهم البابا غريغوري الثاني عشر Grégoire XII (1417م) في روما، والبابا بنديكت الثالث عشر Benoit XIII (1423م) في أفنيون بفرنسا. ثم فكر الكرادلة في حل الموقف، فعقدوا مجمعا كنسيا في مدينة بيزا الإيطالية، وطلب مثل بابا روما وبابا أفنيون أمام المجلس، ولكنهما تجاهلا الدعوة، فأعلن المجلس اختيار بابا جديد هو إسكندر الخامس Alexandre V (1410م) بمدينة بيزا، الذي خلفه يوحنا الثالث والعشرين Jean XXIII (1419م). وقد ترك هذا الموقف أثرا كبيرا على مكانة البابوية في نظر شعب الكنيسة الكاثوليكية وأفقدتها هيبتها. فضلا عن ذلك، فقد زج الباباوات بأنفسهم في غمار السياسة وعملوا على مد رقعة الولايات البابوية. ويضاف إلى ذلك بيع المناصب الدينية. كذلك انحراف بعض الباباوات حيث كان البعض تقيا والبعض الآخر يهتم بممارسة الترف والبذخ والرخاء، وأصبحت الكنيسة في هذا العهد مهتمة بالأموال أكثر من اهتمامها بالإصلاح. ومن الباباوات الذين كانوا يتناولون المصاريف الباهظة، إسكندر السادس Aléxandre VI (1503م) ويوليوس الثاني Jules II (1513م) وليون العاشر Léon X (1521م).

2/ صكوك الغفران Indulgences: وكانت السبب المباشر لقيام حركة الإصلاح الديني وتحولها إلى حركة ثورية. إذ عادت الكنيسة الكاثوليكية تباع صكوك الغفران، خلال القرن 15م، مقابل النجاة من النار وضمان المغفرة والدخول إلى الجنة. كانت تباعها للفلاحين الذين يمثلون الفئة الفقيرة، وليس لهم أية سلطة، وبالتالي عليهم الخضوع المطلق للكنيسة. وقد نهجت الكنيسة الكاثوليكية عدة طقوس لبيع صكوك الغفران حيث برز بيعها لهذه الصكوك بحجة بناء كنيسة القديس بطرس Pierre (64م أو 68م) بروما، وذلك في عهد البابا يوليوس الثاني، منذ سنة 1506م، وخليفته ليون العاشر. وأصبحت الصكوك تجارة مزرية، فأصبحت موردا ماليا للكنيسة تمنحه لمن يقدم هبات مالية. بل وأصبح الغفران يُمنح للأحياء والأموات، ولتكفير ذنوب ارتكبت في الماضي، أو يُمنح مقدما لجميع الأخطاء التي سترتكب في المستقبل، بل عهدت الكنيسة لعملاء يجمعون الأموال في نظير نسبة ربح مُعينة. كل هذا جعل الناس في جميع أرجاء العالم المسيحي اللاتيني يرفعون عقيرتهم للمطالبة بالإصلاح.

3/ الطباعة: عندما اخترعت آلة الطباعة، أحلت محل المخطوطات النادرة نصوصا رخيصة الثمن، وتضاعفت أعداد النسخ التي تمتاز بالدقة والخفة في حملها. وكان أول ما طُبِع هو الكتاب المقدس، وكان ترجمة ألمانية للنص الإغريقي، بعد أن استُخدمت النسخة المُعتمدة على النص اللاتيني فترة طويلة. واستطاع بسطاء الناس قراءة الإنجيل بسهولة ويسر بلغاتهم القومية. فترجم إلى الفرنسية والإيطالية والإسبانية واللغات الأخرى، وأصبح مُتاحا وشائعا، وهيا ذلك الناس لدعوات الإصلاح بالتحول من

الاحتكام للبابوية إلى الاحتكام للإنجيل والعقل، وقضت على احتكار رجال الدين على التعليم والتربية، ويسّرت التعاون والاتصال الفكري بين الأفراد والشعوب.

4/ روح النقد والتحرر الفكري من القيود التي فرضتها الكنيسة: من ذلك انتقاد الكنيسة من طرف عدة ممهدين للإصلاح الديني:

المصلح الديني جون ويكليف: الذي انتقد الكنيسة المسيحية في مبالغتها في جمع واكتناز الأموال، ولذلك دعا إلى الاستحواذ على ممتلكات الكنيسة، واستغلالها في إصلاح البلاد اقتصاديا واجتماعيا، ولتحذر من استغلالها وسلطتها بعد أن تبين بأن سلوكات رجل الدين لا علاقة لها بما يأمر به الدين المسيحي.

المصلح الديني جون هس: قام هس بانتقاد الكنيسة انتقادا شرسا، ودعا إلى عدم تقديس البابوية لأن أفكارها وسلوكها بعيدين عن الديانة المسيحية، وأن تصرفاتها الفاسدة تتنافى مع القيم التي يدعو إليها الإنجيل. وقد أدى به انتقاده إلى إعدامه من طرف الكنيسة سنة 1415م وذلك بتهمة الهرطقة(الردة).

المصلح الديني إيراسموس: انتقد إيراسموس الرهبان المسيحيين، واصفا إياهم بكونهم قوم ظلام قساة، استسلموا للخرافات. ودعا للعودة إلى الإنجيل لأن فيه القيم الحقيقية، والتخلص من السلطة الكاثوليكية التي تتنافى مع الديانة المسيحية.

5/ رغبة حكام الوحدات السياسية في ألمانيا بالتحرر من سيطرة الكنيسة في روما: أخذت الدول الملكية الناشئة، بعد أن ازداد ثراؤها واستقرارها، تعمل على التحرر من سيطرة الكنيسة. وأخذ ملوكها يعترضون على وجود المندوب البابوي في بلادهم، واعتبروا كنائس بلادهم دولة داخل الدولة، فراحوا يُضيقون على سلطات وصلاحيات رجال الدين، خاصة في شؤون القضاء. كما بدءوا ينتزعون من باباوات روما الحق في تعيين الوظائف الشاغرة لرجال الدين في بلادهم، وتطلعوا إلى إقامة كنائس قومية بعيدة عن الهيمنة الأجنبية المتمثلة في باباوات روما.

6/ العامل الاقتصادي: كان أداة الملوك والنبلاء في طلب الاستقلال عن سلطة روما. من هنا جاءت العوامل الاقتصادية والقومية. الاقتصاد هو المسؤول الأول والأخير عن الإصلاح الديني. ويكليف، هس، ولوثر كانوا أساتذة فلسفة. معارضتهم كانت معارضة إيديولوجية، وجودهم كان ضروريا لنجاح الإصلاح الديني. كما أن الإصلاح الديني كان يعتمد على عوامل أخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية. تفسير هذا أن الكنيسة الكاثوليكية في كل مكان قد أثرت ثراءً عريضا خلال العصور الوسطى من تبرعات الوهابين الأغنياء، فتطلع الملوك والأمراء إلى هذه الثروة وحقدوا على أصحابها، فاغتنموا آراء المصلحين واتخذوها وسيلة لكي يبرهنوا للعالم أن اغتصاب أموال رجال الكنيسة أمرا لا غبار عليه.

قيام الإصلاح الديني البروتستانتي:

1/ بوهيميا (جمهورية التشيك): الاستعداد للإصلاح الديني والتمرد على سلطة الكنيسة الكاثوليكية كان ناضجا في بوهيميا، كما كان الحال في إنجلترا. كان ذلك بقيادة جون هس، أستاذ الفلسفة بجامعة براغ.

أفكار هس كانت منتقاه من كتابات ويكيليف. لكن هس دفع ثمننا غاليا لهذه الأفكار، الخطأ الأكبر الذي وقع فيه، هو اعتقاده بأن السلطات سوف تحميه وتوفر له محاكمة عادلة. طلبت منه السلطة الرجوع عن غيه ونقض أفكاره، لكنه لم يكن يعرف ما هي تهمته، وما هي هذه الأفكار التي تغضب السلطة، ويجب أن يرجع عنها. بعد ذلك، أخذ لكي يمتثل أمام الإمبراطور والأمراء والكرادلة والأساقفة والقساوسة والرهبان. عندما صدر الحكم عليه بالإعدام، سقط هس على الأرض يبكي وهو يقول: "يا إلهي، أغفر لأعدائي". بعد ذلك، تم شلحه ووهبت روحه إلى الشيطان؟. التمرد ضد سلطة الكنيسة مع تزايد الشعور بالقومية، يجعلان من السهل التنبؤ بالإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر فيما بعد. بعد إعدام هس على المحرقة، الإخوة البوهيميون، كما كانوا يسمون، أسسوا ديناً جديداً يلتزم بالكتاب المقدس بدلاً من المؤسسة الكنسية. يرفضون السلطة المطلقة للبابا، وكذلك صكوك الغفران، وإقامة القداوس للأموات، وكل البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم "الكنيسة المورافية".

2/ ألمانيا: مارتن لوثر: ارتبطت حركة لوثر بتكوينه الديني من خلال زيارته لروما، حيث عاد بانطباع سيء عن حياة البابوية، بعد أن وقف على مظاهر الفساد والانحلال الخلقي من خلال ممارسة رجال الدين لحياة البذخ والملذات، ورفضه لصكوك الغفران لأن المغفرة مرتبطة بالإيمان. وما كان يشغل فكر لوثر هو البحث عن خلاص للإنسان، وبالتالي كانت القاعدة الأساسية لحركته هي عقيدة التبرير بالإيمان، وتتلخص فيما يلي:

- نفي العظمة عن رجل الدين.
- منع ترويج صكوك الغفران.
- الرجوع إلى الكتاب المقدس وفهمه فهما صحيحاً بأن الغفران مرتبط بالعمل الصالح... الإيمان مسألة فردية.

طلب منه البابا التخلي عن أفكاره، ولما رفض اتهمه بالتكفير. فانتهاز لوثر فرصة اجتماع الناس -على عاداتهم- في كنيسة فيتمبرغ Wittemburg بألمانيا في أول نوفمبر من كل عام للاحتفال بعيد الشهداء La toussaint، سنة 1517م، وعلّق على باب الكنيسة احتجاجاً طويلاً يشمل 95 مادة ضد صكوك الغفران. وأعلن عن عقيدته التي عُرفت باسم "التبرير بالإيمان Justification by faith" استناداً إلى مبدأ القديس بطرس أو بولس "أن الوسيلة للخلاص من عقاب الله هي الإيمان المطلق برحمته"، وأن البابا لا يمتلك غفران الذنوب ولا احتكار تفسير الكتاب المقدس. ودعا إلى ضرورة الحد من عبادة القديسين والعذراء، والإقلال من الطقوس، والاهتمام بالوعظ، وتقليل دور الموسيقى والفنون الزخرفية أو إلغاؤه تماماً. كما أباح زواج رجال الدين، وقال أن الحج إلى روما غير ضروري، وأباح الطلاق. وبذلك أصبح واضحاً أن لوثر قد شن حملة شعواء ضد نظام وتعاليم الكنيسة وسلطتها، والمذهل أن الجموع في ألمانيا قد تجاوبت مع دعوته.

عوامل نجاح حركة لوثر: لقد عارض لوثر كل الصدقات والأموال التي يستغلها رجال الدين بطرق غير شرعية. لقيت حركة لوثر ترحاباً كبيراً من لدن الفلاحين والأمرء والبرجوازيين والمتقنين في ألمانيا وخارجها. ما قام به مارتن لوثر هو الدعوة إلى تحجيم (تقليل) سلطة البابا، ورفض الطقوس الكنسية كوسيلة للخلاص. الخلاص بالنسبة للوثر، يأتي عن طريق الإيمان الشخصي، والامتنال بما جاء في الكتاب المقدس. نتيجة لمواقف لوثر، تغلغت عقيدته في قلب المجتمع الألماني، بل وامتدت آثارها إلى سويسرا وغيرها. ولعل الأسباب الرئيسية لذلك هي:

أ/ شخصية لوثر، وقوة إيمانه بمذهبه.

ب/ صداقة لوثر لفردريك الثالث (1525م)، مُنتخب سكسونيا، الذي أسدى خدمات جليلة للوثرية، حيث ساعده على الهرب من قرارات البابا، كما جعل من قصره مأوى له، ومن جامعة فيتمبرغ منبراً لنشر آراء لوثر وكتاباتاته.

ت/ ظهور لوثر في توقيت حرج للإمبراطورية الرومانية المقدسة، والتي عانت سيلاً من الأزمات، على رأسها الحروب الإيطالية، والزحف العثماني على شرقي أوروبا.

نتائج حركة لوثر: تغلغت عقيدة لوثر في قلب المجتمع وأندرت بالتغيير، ولكن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي سادت ألمانيا أدت إلى أن تأخذ هذه الحركة اتجاهات معينة، ورأى البعض فيها فرصة لتنفيذ آراء كانوا يؤمنون بها. ذلك أن الدعوة إلى انتزاع أملاك الكنيسة وثروتها من أجل إصلاح الكنيسة وإعادتها إلى بساطتها الأولى أدت إلى قيام النبلاء بالثورة على الكنيسة، ومهاجمة الأراضي التابعة لها. كما أن انتشار روح الانتفاض على السلطات القائمة أدى إلى قيام الفلاحين والأقنان بالثورة على النظام الاجتماعي والسياسي السائد في البلاد. ولذلك تمخض عن حركة لوثر ثورتين، هما:

أ/ حركة الفرسان ضد الكنائس.

ب/ حرب الفلاحين: وتمثلت مطالب الفلاحين في 12 مادة، أهمها إلغاء الرق ومعاملتهم بالطريقة التي جاءت في الكتاب المقدس وليس كعبيد، وهاجموا الأمرء ورجال الدين. لكن لوثر تحالف مع الأمرء والإقطاعيين ضد الفلاحين الذين قاموا بثورة سنة 1542م، فعارضها لوثر معارضة شديدة لإيمانه بضرورة الخضوع للسلطة الدنيوية لأنها هبة من الله، لأن الإصلاح الديني بقيادة مارتن لوثر، ترك الغيبيات كما هي، وحول فقط سلطة البابا إلى سلطة الكتاب المقدس. تحقق إصلاح لوثر بعدما تحقق النمو التجاري وانبعاث القومية الوطنية.

موقف شارلكان (1558م): صلح أوغسبرغ Augsburg (مدينة بألمانيا) عام 1555م: وجّه الإمبراطور شارلكان الدعوة إلى انعقاد الدايت في أوغسبرغ، وترأس جلساته، وقرر ما يلي:

أ/ منح الحرية الدينية للإمارات اللوثرية، وأن يتعهد الإمبراطور والمنتخبون والأمرء بأن يتركوا الولايات البروتستانتية تؤدي شعائرها بكل حرية. كما قرر ذلك الصلح أن يحترم الأمرء البروتستانت الحرية الدينية للأمرء والمقاطعات الكاثوليكية.

ب/ عدم الاعتراف بأي مذهب آخر عدا المذهبيين المذكورين.

ت/ نص كذلك على السماح للرعايا الراغبين في الانتقال من ولاية إلى أخرى، تدين بالمذهب الذي يعتنقونه، ولهؤلاء الحق في أن يرحلوا دون التعرض لهم بسوء، ولهم أن يأخذوا معهم أموالهم دون ممانعة من أحد.

ث/ نص أيضا على أن تبقى الأراضي التي اغتُصبت من الكنيسة الكاثوليكية قبل عام 1552م، في يد مغتصبها، بينما تُعاد تلك التي اغتُصبت بعد هذا التاريخ إلى حالتها الأولى.

3/ سويسرا : أ/ زوينغلي: ظهرت أول دعوة للإصلاح البروتستانتي خارج ألمانيا في مدن سويسرا، على يد مصلح سويسري يُدعى أولريخ زوينغلي Ulrich Zwingli (1531م). حيث اعتمد هذا مبادئ لوتر في رفضه صكوك الغفران، وابتزاز الكنيسة للناس عن طريق جمع الضرائب. وقد دعا زوينغلي إلى عدم قبول أي شيء لم ينص عليه الكتاب المقدس، ولم يقره المسيح. فأمر بإزالة الصور من الكنائس عام 1524 وإلغاء القداسات والحفلات الدينية، والعودة بالمسيحية إلى بساطتها الأولى من قراءة الكتاب المقدس، وإلغاء أي احتفال ديني لم يقره المسيح، كما سمح بزواج رجال الدين. وكان هو أول من طبق ذلك حيث تزوج في نفس العام. كما هاجم دفع الضريبة للكنيسة، واستخدم اللغة اللاتينية في صلوات الكنيسة. وكان لدعوته طبيعة إصلاحية في المجال السياسي، حيث ندد بمظالم الحكام خاصة تجاه الطبقات الفقيرة. إلا أن الأمر سيؤدي إلى اندلاع الحرب بين الولايات البروتستانتية والولايات الكاثوليكية، ومقتل المصلح زوينغلي وهزيمة الجيوش البروتستانتية في معركة كابل 1531م.

ب/ كالفن: لكن انتشار الإصلاح في سويسرا ارتبط بالحركة الكالفنية التي دافع عنها جون كالفن John Calvin الفرنسي (1564م). انطلقت حركته من فرنسا عام 1534م، عندما صدر قرار بحرق 40 من أتباع اللوثرية في باريس، وقد شهد كالفن هذا الموقف المروع مع جمع من أهالي المدينة، فكان لهذا الحادث تأثيرا كبيرا على مجرى حياته القادمة، قبل اللجوء إلى سويسرا، وقد كانت أكثر تنظيما. جمع أفكاره الإصلاحية بشكل منظم في كتابه "مبادئ الدين المسيحي" الذي ترجمه إلى الفرنسية؛ وقد تضمن مبادئ اتفق فيها مع لوتر بإعطاء الأولوية للكتاب المقدس، وربط الغفران بالأمور القدرية. كما اهتم كالفن كذلك بالجانب السياسي حيث كَوّن جمهورية ثيوقراطية بجنيف، جعل السلطة فيها للمرشدين الدينيين. واستقر في جنيف منذ عام 1536م، وظل بها حتى وفاته. وأقام فيها حكومة اعتبرها ممثلة لإرادة الله على الأرض، وسنّ قوانين صارمة لمعالجة الانحلال الأخلاقي، فقام باضطهاد الخارجين على مبادئ الدين والفضيلة، واعتبر أن اعتناق المرء للمسيحية دون العمل بها جريمة، فوضع القوانين التي تحمل الناس على الصلاة والاستماع للوعظ، وتدخل في تنظيم علاقات الناس الخاصة والعامة، وحتى ملابسهم. وكل من خالف هذه القواعد كان يقع تحت طائلة العقاب الصارم، حتى أنه قد بلغ عدد من نُفذ فيهم حكم الإعدام في جنيف نحو 70، حيث كان الإعدام عقوبة للزنا، ونُفي 76 آخرين خلال 5 سنوات. استمر

كالفن في نشر دعوته في أنحاء أوروبا، ولكن حالته الصحية جعلته وإهنا، حيث أُصيب بنزيف متكرر في الرئتين جعله ملازما للفراش معظم أوقاته، حتى وفاته. أهم مبادئ كالفن:

1. الإصلاح الذي ينشده يتناول قواعد الكنيسة، ولا يمس الدولة.
2. الاعتماد على الكتاب المقدس وحده، شأنه في ذلك شأن لوثر.
3. لا يوجد غير المسيح شفيعا للناس عند الله.
4. الإيمان بالقضاء والقدر، فهما خطة إلهية كُتبت قبل ولادة المرء.
5. حصر كالفن العبادة في الصلاة والوعظ والإرشاد، وحرم ما عدا ذلك من الطقوس الدينية المُتبعة في الكنيسة الكاثوليكية، وحرم تزيين الكنائس بالصور والتماثيل.
6. عني كالفن بإصلاح المجتمع وتطهيره من المفسد، وعهد إلى السلطة الكنسية بمراقبة الحياة الخاصة للأفراد كما تتولى مراقبة الحياة العامة.

4/ إنجلترا: أ/ جون ويكيليف: بطل الإصلاح الديني قبل مارتن لوثر، كان أستاذًا بجامعة أكسفورد. كان ويكيليف معارضا لسلطة الكنيسة المادية وسلوك الرهبان. شجع ويكيليف الملك إدوارد الثالث (Edouard III 1377م) على عدم الامتنال لأوامر وتعليمات البابا في روما. الكنيسة، في رأي ويكيليف، يجب أن يكون نشاطها تطوعي وأن تهتم بالوعظ والإرشاد، لا بالطقوس الوثنية من عبادة العادات القديمة وزيارة الأضرحة والأماكن المقدسة. سلطة البابا المطلقة، هي مجرد اغتصاب للسلطة في البلاد المختلفة، الرهبان ما هم إلا سياسيين طامحين. كما أن ويكيليف قد أدان نظام الاعتراف وشراء الغفران بالنقود. الكنيسة كانت تمتلك نصف عقارات وأراضي إنجلترا كلها. الامتنال يكون لتعاليم المسيح لا للبابا. إذا كان لدينا مئة بابا وعدد لا نهائي من الكرادلة، فلا يهمنا ما يقولون إلا ما يوافق الإنجيل. ثم قام ويكيليف بترجمة الإنجيل (العهد الجديد) من اللاتينية إلى الإنجليزية، سنة 1382م (ترجمة غير كاملة). وهي أول ترجمة للإنجيل يستطيع عامة الناس فهمها، وأصبح الإنجيل المترجم أداة في يد عامة الناس. شجع الفلاحين على التمرد ضد الحكومة والكنيسة معا سنة 1381م. كانوا يطالبون بحقوقهم، ثم ساروا في ثورة إلى مدينة لندن، وقاموا بقتل بعض النبلاء. فُصل ويكيليف من جامعة أكسفورد بسبب آرائه. لكن السبب الحقيقي هو علاقته بثورة الفلاحين. لم يُعدم ويكيليف، لكن أتباعه تم تصفيتهم. "اقتلوهم جميعا عن بكرة أبيهم فالله يتعرف على عباده الصالحين". وهي إجابة السفير البابوي عند سؤاله عن كيفية التفرقة بين المؤمنين والزناديق. ثم صدر قانون من المجمع الكنسي الذي انعقد بمدينة كونستانس الألمانية (1414م-1418م) سنة 1415م، يجرم قراءة ترجمة ويكيليف للإنجيل، كما تم استخراج جثته وحرقها.

جاء هذا الإصلاح نتيجة لخلاف الملك الإنكليزي هنري الثامن (Henri VIII 1547م) مع البابوية بسبب رفض البابا إبطال زواجه، ورغبة هنري في الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة، مما جعله ينفصل عن البابوية ويتزعم الكنيسة الإنكليزية، وبالتالي أعلنت الكنيسة قرارا بتكفيره.

كما أصدر البرلمان الإنجليزي قانون السيادة سنة 1531م، ومضمونه أن الملك هو القائد الأعلى، يتمتع بجميع السلط، مما أحدث قطيعة نهائية مع الكنيسة الكاثوليكية. وقد تسببت هذه الإصلاحات الدينية في نشوب نزاعات طويلة وحروب ضاربة في أوروبا انشقت على إثرها الدول الأوروبية لحزبين متعاضدين الكاثوليكي والبروتستانتي تقاتلا طيلة القرنين 16م و17م حتى اقتنعا بضرورة التسامح والتعايش العقائدي فيما بينهما.

نتائج الإصلاح الديني:

إذا كانت النهضة في إيطاليا قد اتسمت بالنزعة الفنية الأدبية، فإنها أخذت شكل الإصلاح الديني في ألمانيا، حيث أسهم التحرر الفكري في إعادة النظر بعمق في عيوب الكنيسة والدعوة إلى ضرورة إصلاح مفاسدها. وقد ترتب عن ذلك:

1/ تعدد المسيحية وما نتج عنها من صراعات وحروب، أبرزها حرب الثلاثين عاما بين سنوات 1618م و1646م ذات الأبعاد القارية.

2/ قيام الكنيسة الكاثوليكية بإصلاح مضاد للمذاهب الجديدة في أوروبا.

3/ اهتزاز مكانة البابوية مع استمرارها كمرجعية أساسية أمام العثمانيين وحصارهم لفيينا سنة 1683م.

4/ انعقاد صلح واستقاليا سنة 1648م الذي وضع قواعد شاملة لنظام دولي جديد.

5/ من وجهة نظر القرن 20م، النهضة والإصلاح الديني، لا يمثلان حركة كاملة، إنما عبارة عن مرحلة تحول من حال إلى حال. تأثير البروتستانت على العلوم والفلسفة والتعليم كان واضحا، بالرغم من إيمان لوثر بالغيبيات وعدم ثقته كثيرا في العقل.

6/ الإصلاح الديني وعصر النهضة، أفسحا الطريق إلى عصر الأنوار. لوثر وكالفن، كانا ضروريان لظهور المفكرين بيير بايل Bayle (1706م) وجون لوك Locke (1704م). بالرغم من عدم اكتمال عصر النهضة، ونعته بالعنف وعدم التسامح، إلا أنه كان يمثل ميلاد فكر ديني جديد.

7/ أما الحرية والديمقراطية بمفهومهما الحديث، فقد تركا لحركة الأنوار الفرنسية والإنجليزية. ثم جاء بعد ذلك في القرن 19م، عصر العلوم والنقد وكل الأمور التي لها علاقة بحياة الإنسان.

المراجع:

<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article39592>

<https://uqu.edu.sa/agmohamad/12859>